سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (72) | 2 / 2 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

هل صحيح ، يثمر الموت حياةً
هل سأثمر في يد الجائع خبزاً،
في فم الأطفال سكّر؟

«البكاء / من ديوان أوراق الزيتون»
محمود درويش

صورة الغلاف من عدسة سام
المكان: جسر العب - ريف دمشق 14 / 1 / 2013

نهر الشهداء: تقرير عن مجزرة نهر قويق

إعداد: ديمة عطار ونسرين منافيخي

تاريخ الواقعة: يوم الثلاثاء 29 - 1 - 2013

الساعة: السابعة والنصف صباحاً

المكان: مدينة حلب – حي بستان القصر – نهر قويق عند جسر السنديانة الذي يمر عبره المدنيين للتنقل ما بين حيي بستان القصر والزبدية، ويتضح موقع الحادثة كما موضح بالصورة وعلى الرابط التالي:

تفاصيل الحادثة:

حوالي الساعة السابعة والنصف صباحاً شاهد أهالي الحي العديد من الجثث داخل مياه نهر قويق حيث كانت تجرفها مياه النهر، توجه الأهالي إلى جامع صبحان المجاور لمكان الحادثة حيث تم إعلان الخبر عبر مذياع الجامع فتجمع الأهالي وكتائب الجيش الحر وبدؤوا بعملية انتشال الجثث من النهر ووضعها على ضفاف النهر، وقد قام بعض الشبان بوضع شبكات في مجرى النهر كي يتمكنوا من انتشال جثث الشهداء ويوقفوا انجرافها بعيدا وفق ما يتضح في الفيديو:

قام قناص متواجد في حي الإذاعة المجاور بإطلاق الرصاص على الأهالي الذين يقومون بعملية إجلاء الشهداء من النهر كما يتضح في نهاية الفيديو التالي، أدى ذلك لتوقف العملية حوالي الساعة ومن ثم معاودة انتشال الجثث من جديد عندما هدأت عملية القنص:

تم نقل الجثث إلى مشفى الزرزور وإلى مشفى ميداني في بستان القصر حيث توجه أهالي المفقودين والمعتقلين للتعرف على الجثث كما يتضح بالفيديو:

حالة الجثث: كانوا جميعاً مكبلي الأيدي وبعضهم مقيد الأرجل ومكممة الأفواه، بينهم العديد من الأطفال الكبار، تم إعدامهم ميدانياً برصاص في الرأس أحيانا في العين و كان رؤوس البعض مغطاة بأكياس نايلونية وبعضهم قد تم وضع شريط لاصق على فمه وعينيه، الجثث أغلبها حديثة الوفاة حيث كان لون الدم الذي سال من الجثث بلون أحمر قاني كما يتضح في الفيديوهات، وحسب تصريح أحد الأطباء الذين قاموا بالكشف على الجثث أنه وفقا للعلامات التي ظهرت على الجثامين فإنه يقدر أقدم تاريخ وفاة يعود لثمانية أيام قبل الحادثة فقط، هناك بعض الجثث المشوهة تماما و بعض الجثث عليها آثار التعذيب كما أن بعض الجثث كان اصحابها ما يزالون يرتدون الحزام الجلدي وخواتم الزواج مع وجود رباطات الأحذية وهذا دليل عدم وجودهم في المعتقل سابقاً.

تبين بعد تسليم العديد من الشهداء لذويهم أن 15 منهم كانوا مفقودين من فترات متفاوتة أطولها شهر واحد كما تبين أن خمسة منهم كانوا محتجزين لدى الفروع الأمنية في مدينة حلب بعد اعتقالهم على حواجز في المناطق المحتلة، كما عرف اثنان من الشهداء كان لديهم درجة من التخلف العقلي.

يذكر الناشطون في حيي بستان القصر والكلاسة أن منسوب المياه في النهر كان خلال فترة العشرين يوماً ما قبل المجزرة مرتفع بالمقارنة مع اليوم الذي تم العثور فيه على الجثث، حيث انخفض منسوب المياه مما يدل على إيقاف الضخ ليُعاد فتح المجرى وعودة المياه إلى النهر مرة أخرى في اليوم التالي.

بحسب التخمينات الأولية أن مكان إلقاء الجثث في النهر هو من حديقة الطلائع الثورية الواقعة في شمال بستان القصر حيث تطل على نهر قويق، والتي تبعد عن مكان العثور على الجثث حوالي 1. 4 كم، وتعتبر هذه النقطة أقرب الأماكن التي يسيطر عليها النظام لمكان العثور على الجثث في النهر.

عثر في المرحلة الأولى لانتشال الجثث على 59 شهيد، ومن ثم تمكن الأهالي من انتشال 21 شهيداً آخر وبقيت 20 جثة أخرى في مكان يصعب الوصول إليه لوجود القناصة، العدد الكلي حوالي 100 شهيد بتاريخ الأربعاء 29 - 1 - 2013، كما تم انتشال سبعة جثث في يوم الخميس التالي وكان الدم ينزف من رؤوس تلك الجثث، وفي صباح الجمعة تم العثور على شهيدين آخرين مشوهين بشدة تم دفنهم فورا من دون تصوير، وبذلك يبلغ العدد الإجمالي وفق المعلومات التي وصلتنا إلى 109 شهداء وقد عرف من هؤلاء الشهداء أربع وأربعون شهيداً.

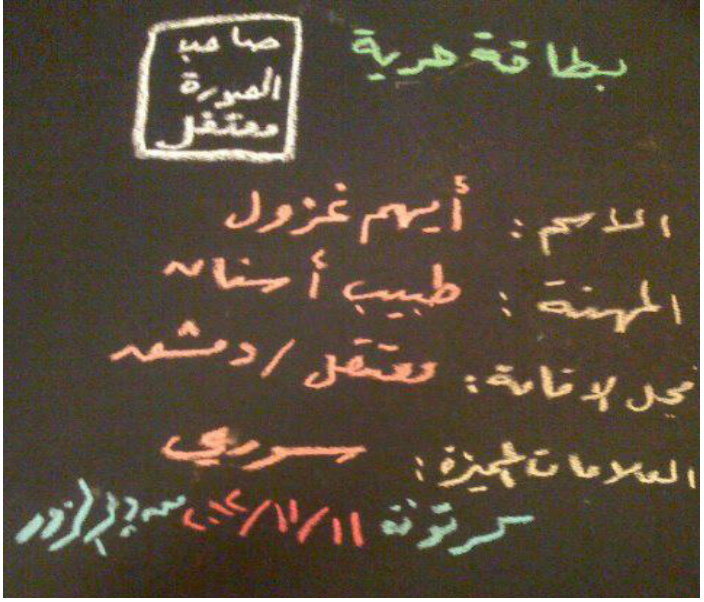

الطبيب أيهم غزول
معتقل استشهد تحت التعذيب

نشرت يوم الجمعة صفحة "اتحاد الطلبة الأحرار لجامعة دمشق" على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك تفاصيل عن اعتقال واستشهاد الطبيب أيهم غزول، وهو طالب دراسات عليا "ماجستير" في جامعة دمشق كلية طب الأسنان، اعتقل بتاريخ 5 تشرين الثاني 2012 من جامعة دمشق واستشهد تحت التعذيب. لم تسلم جثته بعد لذويه وهناك معلومات أنه جثمانه موجود في مشفى ال 601.

تفاصيل اعتقال الشهيد الدكتور أيهم غزول

في يوم 5 / 11 / 2012 خرجنا معاً من الكلية واتجه هو وزميلته إلى نفق الآداب وبقينا نحن خلفهم وعند خروجهما من باب الجامعة (باب الآداب) أوقفه شبيحة الاتحاد الوطني لطلبة سوريا وعلى رأسهم أشرف صالح حيث أخذ منه أوراقه الشخصية والموبايل واللابتوب وطلب من زميلته أن تخرج من الجامعة بسرعة وعندما سألّه الشهيد من أنتم وماذا تريدون أجابه أشرف "اتحرك قدامي من غير حكي أحسن ما أمسح فيك الأرض"، ثم أخذوه إلى مقر الاعتقال والتشبيح في الجامعة والموجود في كلية الطب البشري، وهذا المقر وفق كلام من دخل إليه وخرج ظاهرياً هو مبنى لمدرجات الطب البشري وفيه غرفة للهيئة الادارية بينما هو في الحقيقة مقر لشبيحة الجامعة حيث يوجد فيه غرف للتحقيق وغرف للسجن بالإضافة إلى كل وسائل التعذيب، ويوجد فيه أيضاً مكتب الشبيح أشرف صالح وهو المسؤول عن أغلب الاعتقالات التي تحصل ضمن الجامعة.

أدخلوا أيهم إلى هذا المقر ودخل عدد كبير من الشبيحة معه بينهم علي خير بك وسوار نادر، وبعد إغلاقهم الباب بخمس دقائق سمعنا صوت صراخه وصراخ طلاب آخرين تم اعتقالهم قبله (حيث تم في ذلك اليوم اعتقال حوالي 6 طلاب)، وكانت أصواتهم مسموعة إلى خارج البناء. وبعدها أتى عدد من الشبيحة وطلبوا منا الخروج من الجامعة فذهبنا وانتظرنا عند باب الجامعة، وبعد حوالي الساعة دخلت سيارتان إلى الجامعة تابعتان لأحد الأفرع الأمنية (المخابرات الجوية أو الأمن العسكري) وأخذت المعتقلين ومنهم الدكتور أيهم حيث حمل إلى إحدى السيارتين وكان فاقداً للوعي.

شهادة عيان أحد المعتقلين الذين كانوا مع الشهيد أيهم في المعتقل "في فرع المخابرات الجوية في المزة"

في يوم 2012/11/5 أدخلوا إلينا معتقلاً آخر محمولاً ومنهكاً غير قادر على الوقوف وشبه فاقد للوعي. نام لفترة قصيرة وعندما استيقظ سألناه عن وضعه فأجاب: "تم اعتقالي من كلية طب الاسنان عند خروجي من باب الجامعة من قبل شبيحة الاتحاد بقيادة الشبيح أشرف صالح واقتادوني إلى مقر الاعتقال في كلية الطب البشري ثم انهالوا علي بالضرب المبرح وبعد ذلك دخل إياد طلب إلى الغرفة ومن ثم أحضروا خمسة معتقلين آخرين وجلبوا عصا حديدية وانهالو بالضرب المبرح علينا حيث كانو يضربوننا بها على رؤوسنا حتى فقدت الوعي ولم أحس بشيء إلى الآن".

طالبنا كثيراً بنقل أيهم إلى المشفى ومعالجته لكن لم يتم تنفيذ الطلب بل كنا نتلقى جواباً بالشتائم، وقالوا لنا: "بس يموت نادولنا"، وتابعوا التحقيق معه وبعد حوالي يومين ازرق جسده وغاب عن الوعي وفارق الحياة شهيداً وهو مستلق على قدم صديق...

وحمل أصدقاء الشهيد أيهم الاتحاد الوطني لطلبة سوريا وعلى رأسه عمار ساعاتي رئيس الاتحاد وإياد طلب وأشرف صالح مسؤولية استشهاد أيهم، كما نوهوا بأن الإتحاد الوطني بنفس الأسماء المذكورة مسؤول عن استشهاد الطالب عبد الغني محمود مسبقاً. وفي شهادات أخرى من صفحات مختلفة ذكر بأن إياد طلب كان قائداً لمجموعة من الشبيحة في الجامعة العربية الدولية (الأوروبية سابقاً) وقام باعتقال وضرب عدد كبير من الطلاب، كما أكدت بعض الشهادات بأن أشرف صالح سلم العديد من الطلاب إلى فروع الأمن المختلفة بتهم متنوعة، وتمادى بالضرب على طالبات طب بشري من السنة الثالثة وتسبب في اعتقالهن، كما اعتدى على رئيس الهيئة الطلابية السابق وأرسل بعض الشبيحة لضرب بعض الطلاب في حوادث متعددة، وحقق مع بعض الطلاب في غرفة الهيئة الإدارية، إضافة إلى أنه كان يسير حاملاً السلاح في حرم الكلية تباهياً أمام رفاقه وترهيباً لطلاب الكلية.

وقد نوهت صفحة "اتحاد الطلبة الأحرار لجامعة دمشق" بأنها لم تنشر كل المعلومات التي وصلت إليها وذلك لسلامة الجهة التي سربت تلك المعلومات إلا أنها وعدت بأنه سيتم إيصال كافة المعلومات والوثائق للجهات المختصة من الجيش الحر.

أوجاع وطن

شطحة العدم

■ لينا أحمد عطفة

القصيدة الآن إلى كل الهاربين من المحتوم إلى المنتقى..
من الذبح إلى الذبح.. من الحصار إلى الحصار..
إلى سلميّة.. إلى سورية.. إلى كل الأرواح المعلقة على حافة الحقيقة..

هذي سيرة هرب علنيّ..
و الموت نداء علنيّ.. والصمت كذلك موت
ها قد بدأ منامي..
جدران متلاصقة.. وزجاج.. ووجوه..
رأيت رفاقي خلف حديد الزنزانات.. رأيت أبي يوجعه الشريان الأبهر..
و رأيت معلمتي في الصف الأول تمحي عن سبورة عمري ذاكرة للرفض..
رأيت جيادا نافقة.. ونعوشا تحمل اسمي في أكثر من لغة
و رأيت جنودا معطوبين.. وينشغلون عن الجرح بقضم أظافرهم
و رأيت شيوخا يقتسمون مقدسنا بصكوك..
رأيت رجالا مأخوذين بسنّ الشهوات..
نساء لا يبغين سوى تلميع مكامنهنّ..
رأيت هروبي..
أشحط جيليّ خلفي دون النظر إليه مخافة أن يمسكني الرعب
أركض أركض والطين يغبّ خطاي ويبلع ساقيّ إلى الركبة.. وأنا أبكي
أتخبط في لون الطين المتعدد والورد المنثور عليه وأبكي..
أركض ولهاثي يسبقني
أسمع أمي تنهرني وتقول:
اغتسلي في الماء ليذهب عنك الطين وتذهب عنك الوحشة
أركض لمياه النهر وأقف على الجسر لأقفز في الماء
لكنّ الجسر ترنح من رجس الطين..
و مياه النهر اسودّت..
(كانت دوما سوداء)
آه يا أمي ليس يطهرني حتى الماء..
ها قد بدأ هروبي..
قلبي طير الطنّان على وردة خوفٍ..
و أرى الناس كغابة نخل قلعتها الريح بشطحة رمل..
كان البحر بصمت يتلوّى ويجيء الأرض ويذهب عنها
و الناس لجوءٌ للبحر..
شاهدت أبي يحتضن الكون بدفء عيونه..
و الكون العدميّ ينوء..
الناس اشتعلت كالصيف جنونا وعطش..
إلا رجلا جرّحه الفقد.. ويشبه ظلّ الريح.. حزينا كشتاء يبّسه البرد..
تنام بمعطفه كل الخيبات وتصحو الغربة..
و كأسوأ ميعاد للصدفة وجدّت يده كتف أبي..
و انهال الصوت ليرصف درب العتمة:
حزنت على أطفالك ذات الحزن على قطعي النقدية..
إذ ضاعت مني في عتمة ذاك السجن القبر..
جيبي مثقوب والأرض كهاوية في العدم..
و ليس هناك بلاط إلا واحدة أقف عليها..
أفقد كل الباقي عندي حتى تاريخي إذ أقف عليها.. والباقي عدم..
تهاوت في كلمات الرجل وفي عينيّ الدنيا..
و أبي ذاب بصوته ملحا وابتلعت عينيه الدمعة..
و أنا وحدي أرقب كيف يروح الناس فرادى وجماعات
صوب البحر الساكن مثل رماد الحرب..
أرقب كيف يموتون طواعية صوب البحر..
أرقب كيف هنالك خلف غمام شرودي
يبتلع البحر الناس فرادى وجماعات.. ويسيرون..
لا شيء أمام الناس سوى البحر..
لا شيء وراء الناس سوى أسلحة الجند ومختبرات الموت..
بكيت.. بكيت.. بكيت بحرقة قلب ذاق كمال اليأس..
و صرخت بكل الناس.. رفاقي.. جيراني.. أهلي.. أمتيّ العصماء..
اعتنقوا الماء وموتوا..
موتوا في البحر فليس يطهّركم إلا الماء..
موتوا في البحر فليس ينجّيكم إلا الماء..
بكيت.. صرخت.. هذيت..
رأيت على كتف الماء شجارات..
أمّا تنهر طفلا كي يمشي للبحر..
تهدهده وتطمئنه والطفل يصيح..
يرتجف الصوت أمام الموت..
و الأم تجرّ الطفل وتمضي صوب مصير الماء..
يموت الطفل.. تظل الأم متابعة في خط الماء..
و ممسكة بيد الطفل الطافي فوق البحر..
و فوق العدم.. وفوق اللّه..

حـــراكنا (شـارع سـوريتنا)

سوريتنا | شام داود - سعاد يوسف

المناطق المحررة: منتديات ثقافية واجتماعية لم تخلو من صدامات ومشاكل

ثقافة.. بودار حياة:

شهدت مدينة الباب قرب حلب مبادرة جديدة من نوعها وهي الأسبوع الثقافي، أطلقتها مجموعة من شباب مدينة حلب الفاعل منذ بداية الثورة تطلق على نفسها اسم "مع بعض" وذلك بهدف نشر مفاهيم المجتمع المدني.

وضمن محاولات جريدة سوريتنا تسليط الضوء قدر الإمكان على المبادرات المدنية التي تحصل داخل المدن السورية، قامت بحوار بعض من شباب هذه المجموعة.

يتحدث شباب المجموعة عن أنفسهم لسوريتنا: "شاركنا منذ انطلاقة الثورة السورية بمختلف أشكال الحراك الثوري، ولكن بعد استمرار النظام الوحشي بممارسة مختلف أشكال الإرهاب، والذي ساهم بتخلي الثورة عن سلميتها ودخولها ميدان العسكرة، وبسبب التخوفات الناتجة عن العنف المفرط الذي انتشر في سوريا وجدنا أنه من الضروري التمهيد لبناء مجتمع مدني خال من العنف ولكنه يملك المقدرة على مجابهة الأنظمة الديكتاتورية".

تهميش متعمد أم ظروف معيشية لا تحتمل

في ظل انعدام فرص العمل والبطالة شبه التامة في مدن المناطق المحررة تعتبر مثل هذه المناطق بيئة خصبة لمثل هذه الطروحات اذ تشهد اقبالا وفضولا من سكان المدينة بشكل كبير على حد تعبير أحد شباب الحركة إلا أنها تعاني من تهميش متعمد لأية مشاريع مدنية خصوصا في ظل الاحتياجات الكبرى على صعيد التدفئة والغذاء في هذه المناطق، أطلق شباب المجموعة فكرة الأسبوع الثقافي هادفين إلى أن يكون مشروعا متنقلا بين مختلف القرى والأحياء في حلب إلا أن الدعم كان العائق الأساسي في وجه ذلك. "مادياً لم نتلق أي دعم باستثناء مساعدتنا في مصاريف التنقلات والمعدات من قبل بعض الأصدقاء والمشروع تم بظروف سيئة جدا، لكن مع كل الصعوبات فتقبل الفكرة لدى جمهور مدينة الباب كان جيداً. وقريباً ستعاد التجربة في مدينة حلب".

أما عن محتوى الأسبوع والمحاضرات التي جرت ضمنه يحدثنا شباب المجموعة: "التسمية الأفضل هي أسبوع ثقيفي، وابتعدنا عن السياسة لسببين الأول هو مراعاة الخلافات في الطروحات السياسية والوصول لأكبر شريحة من الناس والثاني حاجة المجتمع السوري لهذه المفاهيم في هذه المرحلة المفصلية في تاريخ سوريا. تم إلقاء عدة محاضرات والمحاضرون كانوا من خارج المدينة، ومحاضرة المجتمع المدني هي أكثر المحاضرات التي أثارت النقاشات بين المحاضر والجمهور. التقبل وردود الفعل كانت إيجابية ومشجعة، فسكان مدينة الباب ككل المجتمع السوري مستعدون لسماع مختلف الطروحات، باستثناء بعض المتطرفين الذين لايسمعون إلا أنفسهم".

من المحاضرات اللافتة للنظر كانت عن موضوع اللاعنف، في منطقة تقع بشكل كامل تحت سيطرة كتائب الجيش الحر.

وعن موقف الكتائب الاسلامية والجيش الحر من موضوع مبادرة من هذا النوع، قالوا: "الجيش الحر كان متعاونا جداً معنا في مختلف المبادرات التي قمنا بتنفيذها ولم يحدث أن تعرضنا لمضايقات منهم بل على العكس كانوا عوناً لنا، أما بالنسبة للكتائب الإسلامية فالغالب منها رفض التعاون معنا وبعضهم حاول تشويه المشروع عن طريق إثارة بعض الشائعات حول المجموعة كالعلمانية والكفر وما إلى ذلك".

الثقافة أيضا عرضة للعنف:

أما عن سراقب وما حصل في المنتدى الثقافي الأسبوع الماضي، والروايات التي تناقلتها مواقع الانترنت حول اقتحام بعض الملثمين منتدى التكافل الاجتماعي وأحد المراكز الإعلامية هناك وما تداعى عنه من طلب مغادرة للصحفيين الأجانب والناشطات السوريات على حد سواء، فقد حاولت سوريتنا تقصي الحقائق عن تلك الحادثة بشكل موضوعي من النشطاء هناك، وأفاد أحدهم بأن الأيام الأخيرة "سجلت أكثر من حالة اعتقال بأشكال مرعبة وممنهجة. يقول الكثيرون إن هذه الاعتقالات لم تهدف للاعتقال بقدر هدفها لإيصال رسالة مفادها أن السلطة الأمنية هي السلطة الأعلى كما تعودنا في زمن النظام، ولكنها سلطة أمنية بنكهة جديدة لم نتذوقها من قبل".

وعن اللجنة الأمنية المسؤولة عما يحدث حدثنا الناشط بتفصيل أكثر: "اللجنة الأمنية مؤلفة من معظم الكتائب بما فيها جبهة النصرة إلا أن الأخيرة تعتبر قيادية في اللجنة إلى حد ما. إنها مصطلح جديد ضمن الثورة في سراقب وقد تم تشكيلها منذ حوالي الأسبوعين، إلا أنها لم تظهر بمظهر واضح حتى اليوم ولم يصدر عنها سوى بيان واحد تعلن فيه اعترافها بالمجلس المحلي ودعمها له، وقد قمنا بالمطالبة بتوضيح أكبر لمهامها، وذلك رغم أنها تأسست بقرار من جهة تمثل الجناح السياسي للواء جبهة ثوار سراقب، بهدف أن تكون قوة مشترك لدعم المحكمة والمجلس المحلي. هذه اللجنة هي من قامت باقتحام المنتدى الثقافي، ونحن نلوم المجموعات الإسلامية وغير الإسلامية على ما حدث".

يسقط البوط العسكري:

إن أحد أهم الآراء كان حول أهمية جدوث ما حدث، فهو حسب رأي الكثيرين كان جيداً وضرورياً في إعطاء الدافع لإبداء ردات الفعل المناسبة، وفتح المجال أمام الكثيرين للتكلم عن الأخطاء التي تحصل باسم الثورة.

وفي رد مباشر على ما حصل من قبل اللجنة الأمنية خرج نشطاء سراقب في مظاهرة حملت عنوان لا للملثمين في مدينتنا، ثورتنا لجميع السوريين، لا للتعدي على الحريات. رددت في هذه المظاهرة هتافات الثورة الأولى وأعادت إحياء ألق السلمية والأهداف التي خرج لأجلها أهل سراقب منذ الأيام الأولى للثورة.

في اصرار منهم على التأكيد على مدنية الثورة وإطلاق الحريات كمكسب أساسي في المناطق المحررة والتركيز على تجربة سراقب المميزة في الديمقراطية الناشئة.

وبناء عليه دعي إلى اجتماع موسع تم فيه نقض سلوك اللجنة الأمنية والتقدم بطلب إشراك المدنيين فيه وتحت مظلة الإدارة التنظيمية والقضاء.

الثقافة في مواجهة التقاليد:

وكمثيلتها في مدينة الباب تلك المبادرات أيضاً تقع بدورها تحت تهميش بسبب الشائعات التي تنتشر حول تناول بعض الصحفيين فيها الكحول مما يدعو سكان مدينة محافظة بتقاليدها مثل سراقب إلى تجنبها وبالتالي إلى تحجيم عملها الداعي الهام في إثارة النقاشات وإلقاء المحاضرات حول الوضع السياسي والإجتماعي وتفعيل العمل المدني.

مدارس ضرورية.. وممارسات فردية ينأى لها الجبين:

ضمن نفس مبادرة التكافل الاجتماعي أسس نشطاء سراقب مدارس تطوعية لضم الأطفال في حلقات دراسية

حدثنا أحد المؤسسين عنها بقوله:. قمنا بإنشاء مدرسة باسم المدرسة (الفاضلة)اليوم لدينا 100 طالب وطالبة مرحلة الصف التاسع.

الكادر يضم عددا من الجامعيين المتطوعين والمؤمنين بالفكرة أغلبهم من خريجي الجامعات الذين لم يستفيدوا من فرصة عمل ومنهم من لم يكمل دراسته.

بالإضافة إلى قاعة تهتم بدورات بالتنمية البشرية لكل من الذكور والإناث على التوالي.

لا تزال تلك الديمقراطية الناشئة تحتاج إلى كثير من الدعم بالرغم من هذه التجربة المميزة و"الهامة" على صعيد استعادة المؤسسات التعليمية وتأطير الأطفال المنقطعون عن الدراسة بسبب تنامي وتيرة العمل المسلح وتهجير الكثيرين، فقد حدثنا أحد المؤسسين عن قيام أحد أفراد كتيبة تابعة لجبهة النصرة في المركز المحاذي للمدرسة باستدعاء بعد الأطفال الخارجين لشراء بعض الحلويات لدى البقالية القريبة وتأديبهم لانزعاجه من ضحكهم، وذلك بدعوى سلوكهم السيئ.

وقد استنكر الناشط تلك الممارسات ووصفها بالمخجلة واللامقبولة ودعا بدوره للمشاركة في المظاهرة ضد هذه التصرفات والاستبداد الجديد على حد تعبيره "أول مظاهرة خرجت ضد النظام في سراقب كانت ضد الاستبداد.. غداً تعود".

تقريـــر إعلاميـــة أيـــام الحـــرية
الأسبوع الأخير كانون الثاني 2013

أيام الحرّية

إعداد: نسيبة هلال

كـي نتعلم مـن تجارب بقية الشـعوب غير الناجحة، ونختصر على أنفسـنا الكثيـر مـن الأخطاء التـي يمكن أن تذهـب بدم الكثيريـن، قامت أيـام الحرية بإصـدار منشـورها الثالث، مـن حملة تجارب الشـعوب والعدالة، بعنـوان «لجنة اسـتجلاء التاريخ» (غير ناجحة)، فقد شـكل الاتحاد الثوري الوطني في غواتيمالا عام 1997 تلك اللجنة، وقد عملت مدة ثمانية عشـر شـهراً، واسـتخدمت طاقم عمل يقارب مائتي موظف في أربعة عشـر مكتبا، كان سـبب فشلها أنها لم تجر جلسـات اسـتماع علنية، وأن توصياتهـا الخاصة بالتعويضات لـم تكن جزءا من مهـام الحكومة الجديدة، ولم تعلن أسـماء الجناة الأفـراد، ولم يتزامن مع عملها توجيه الاتهام إلى كبار المسؤولين.

وأصـدرت أيـام الحرية منشـورها الجديد بعنـوان «كيف نفهـم العنف ضد النسـاء»، تحدث المنشور عن العنف الجنسي والتحرش والعنف المنزلي والإكراه علـى الزواج، وكيـف يمكن إيقـاف ذلك العنف عن طريق تشـكيل لجـان أهلية متخصصة تضع آليات موثوقة وسـرية لتقبل شكاوي التعرض للعنف، مع توعية المجتمع بالمشكلة والتعامل مع الضحايا.

وأصدرت منشـورا آخر يتعلق بنقل الأخبار غير السارة وطريقة النقل وفهم مراحل تعامل المتلقي مع الخبر السيئ.

تسـتمر «حركة وعي» بحملتها «كتاب بثورة»، في نشر مقتطفات من كتاب «أميـن معلـوف»: «الهويات القاتلـة»، وكيف نحتكر الصواب لأنفسـنا ونعتبر أن الآخرين جميعا مخطئون، ونتشـدد ونصبح عنيفين ضـد من يخالفنا الرأي حتى لو كانوا من أهلنا.

أيضا صدر منشـور جديد لأيام الحرية بعنوان «قواعد السلوك للعاملين في مجـال الإغاثة» حيث توجه أيـام الحرية بعض النصائح لمـن يعمل في الإغاثة، بالمحافظـة علـى الموارد الماديـة، والاحتفاظ بالإيصالات والسـجلات للتبرعات والمصاريف وحجب قناعاتنا المسـبقة وآرائنا السياسية التي تقف في وجه أدائنا لواجبنا تجاه أخوتنا المنكوبين.

خصصت أيام الحرية يوم الأربعاء لتغطية خاصة لشـرح مفاهيم التفاوض والتوعية بأهمية إيجاد حل سياسي، يضمن تطلعات الثوار ويحقن الدماء، ناقشت رسـالة رئيس الائتلاف السـوري معاذ الخطيب، والذي طـرح مبادرة تفاوض مع النظام السوري مقابل إخراج عدد من المعتقلين وضمن شروط.

وفـي ختامية حملة «امتحان الدم» تم تعليق ملصقات في الجامعة من قبل اتحـاد الطلبـة الأحرار، وإلصاق ما يقارب الخمسـمائة ملصق في أماكن مختلفة ضمـن جامعة دمشـق نذكر منهـا: كلية العلـوم وكلية الاقتصاد ومبنى رئاسـة جامعة دمشـق، وكلية التربية والحقوق، وبعض سـيارات أساتذة الجامعة وعلى رأسهم عميد كلية الاقتصاد، والحديقة الواصلة بين كلية العلوم وكلية الحقوق.

وكالعادة في الثورة السـورية، فدور المـرأة يأتي الأبرز حيث أن «حبة قمح» في التل قامت بحملة نوعية بعنوان «ديننا فهم وممارسـة وهو خاتمة الأديان»، وزعـت فيه لوحات تتحـدث عن نبذ الطائفيـة والتقديس والتكفيـر وتؤكد على مفاهيم الثورة الأساسـية في الثورة على الظلـم، والعيش بإخوة واحترام الرأي الآخر.

ثورتنا على أفكارنا أولاً، ثورتنا على الاستبداد في عقولنا وقلوبنا، وفي كل مكان آخر، فشاركونا الثورة نحو مجتمع يضمن حقوق الجميع.

لنشارك بالثورة، و لنغرس كل ما نستطيع من الفسائل لنبني الوطن.

الثورة السورية ثورة تاريخية عظيمة - مع أيام الحرية شاركنا الثورة

سوريون تحت النار
الصحة النفسية في زمن الحرب

■ ياسر مرزوق

صرحت فاليري آموس المسؤولة عن الإغاثة في الأمم المتحدة، أن معظم المساعدات الإنسانية التي تأتي للشعب السوري هي من الشعب السوري نفسه، وأضافت أنا أعلن إعجابي بهذا الشعب العظيم الذي يساعد بعضه بتكاتف وتعاون اجتماعي غير مسبوق ولم نر مثله في أي بلد في العالم، هذا الشعب المتفاني لحماية بعضه بعضاً، هو أروع نموذج للتكاتف والتلاحم والتفاني لحماية النازحين والمتضررين. الشعب السوري العظيم، بحسب تعبير آموس يترك وحيداً في المقتلة والعالم يتفرج، ليصدق ما قالة نزار في أعماله الكاملة:

حين دخل الرئيس الأمريكي والرئيس الصهيوني لعقد اجتماع، وبعد ساعات خرج الاثنان.. فسألتهم الصحافة عن ما توصلوا إليه، فقال الرئيس الصهيوني.. سنقوم بقتل مليون عربي، وطبيب أسنان واحد.. فسأله الكثير نفس السؤال الذي يدور فبأذهانكم الآن.. لماذا طبيب أسنان واحد؟ فأمال الرئيس الصهيوني رأسه تجاه الرئيس الأمريكي قائلاً له: "ألم أقل لك أنهم لن يهتموا بالمليون عربي".

عامان والمقتلة السورية مستمرة لا بل متصاعدة، وباتت الأرواح والعذابات تنتظر إمضاء الكبار لتنتهي، والإمضاء متريث حتى يرث السوريون الركام، فلا الروس ولا الأمريكان في عجلة من أمرهم، والضمير العالمي لم يخرج من ثباته الشتوي والصيفي، وحدها إسرائيل يستيقظ العالم من أجلها ويستنفر لأمنها، وما انهمار التصريحات في الأسبوع الأخير، إلا لاستشعار ربيبة العالم الحديث الخطر، أما السوريون فليتركوا للنسيان، فبعد الانفجارات الكبيرة التي وقعت في مستودعات حزب الله مساء السبت الماضي، في وادي يفصل بين بلدتي سحمر ومشغرة أو التلة البيضاء في البقاع الغربي بلبنان، وبعد أن أكدت مصادر مطلعة وجود مستودعات ومعسكر تدريب لحزب الله، ووجود أسلحة صاروخية من بينها تلك التي "سربها" النظام السوري إلى الحزب في أوقات سابقة، تداعت الصحف العبرية وعلى صفحاتها الأولى لتنشر الهلع على مصير السلاح الكيميائي السوري، وخصوصاً من انتقاله إلى أيدي حزب الله. فعنونت صحيفة «هآرتس» «تخوف من تسرب سلاح كيميائي إلى لبنان»، وهو العنوان نفسه الذي اختارته «يديعوت أحرونوت» لصفحتها الأولى مستبدلة كلمة «لبنان» بكلمة «حزب الله» إلى جانب عناوين فرعية مثل «جبهة مواد متفجرة» و«الخط الأحمر الإسرائيلي».

وفيما تصدرت الصفحة الأولى لـ«معاريف» عبارة «إسرائيل لروسيا: امنعوا نقل السلاح الكيميائي السوري إلى منظمات إرهابية» وإلى جانبه عنوان فرعي هو «رياح حرب»، وخصصت «إسرائيل اليوم» صفحتها الأولى للموضوع نفسه تحت عنوان «الخطر والتأهب» يعلوه شرح عن أن المقصود من الخطر هو انتقال السلاح الكيميائي السوري إلى حزب الله ومنظمات أخرى.

لنعود بالذاكرة لكتاب الكبير " فواز طرابلسي " " عن أمل لا شفاء منه " الصفحة السابعة: منأى بيغن يوجه نداء إلى شعوب العالم يشرح فيه أحداث " عملية السلامة للجليل " عام 1982 يركز فيه على حق أطفال إسرائيل في الذهاب إلى المدارس بأمان أسوة بأطفال لندن وباريس ونيويورك

السلامة لأطفال الجليل ولأطفالنا القنابل العنقودية والانشطارية والفوسفورية.

المدرسة لأطفال الجليل واللعب المفخخة والأقلام المسمومة لأطفال لبنان وفلسطين.

تلك شريعة بيغن وهي حتى إشعار آخر شريعة باريس ولندن ونيويورك.

حتى الروس الذين استغلوا الثورة السورية وتراخي البيت الأبيض، أو بالأصح ضعف قرارات إدارة أوباما، وتآكل دور بلاده خارجياً، ليستعيدوا مجداً وهمياً، تغيرت نبرتهم حين يتعلق الأمر بإسرائيل، فمدفيديف صرح بأن الأسد ارتكب خطأً فادحاً واحتمال بقاءه في السلطة بات شبه معدوم، أما لافروف فصرح علناً بأن الروس لم يكونوا يوماً معجبين بنظام الأسد، أما الأشقاء العرب فتصدروا مقاعد المشاهدين المهزومين المكلومين، يشاهدون كيف تجري عمليات القتل، وكيف تجمع أشلاء الأبرياء وكيف يدفن الموتى، وليس لديهم سوى عبارات الأسف والإدانة والاستنكار.

ملفنا اليوم يبدو من قبيل الترف فحين يتجاهل العالم بأسره السوريين، ينبغي على السوريين أنفسهم الاهتمام بالصحة النفسية لهم ولأبنائهم، كي لا ينمو أطفالنا على الحقد، ولكي يعرف هذا الجيل الذي يحمل ندوب المعارك كيف يبني حياة جديدة لا أثر فيها للتمييز بين أطفالنا وكبارنا وأطفال العالم وكباره، ولعل من أهم الشدائد النفسية التي يتعرض لها السوريون في غالبيتهم هي الضآلة " الشعور بانعدام القدرة "والخوف من الموت والركود والخسائر المادية والمعنوية والعدائية والجنس. في ملفنا اليوم سنمر سريعاً على هذه العوارض النفسية ونترك طرق العلاج الذاتي والجمعي لملفٍ لاحق.

يقول الدكتور محمد النابلسي:

تشكل الحرب وضعية من الضغط والإجهاد المزمنين للجماعات المحاربة، ولكن أيضاً على مجموع الجماهير وراء خطوط المعارك. ونتيجة الاحتمالية المستمرة بفقد الحياة يتولد شعور مزمن بالكرب، وفي أوقات معينة حين يتركز الخطر في وقت ومكان محدد بكل ما له من شدة وسرعة وخروج عن المألوف، كالقصف الجوي مثلاً، يمكن للانفعال النفسي الشديد خلال الحرب أن يتبدى أما بشكل تصرفات مهتاجة دون روية، أو بالعكس يبدو على شكل ذهول انفعالي، وفي كلا الحالتين قد يحدث بعض الاختلال في الوعي. وتستعاد المشاعر بالخطر عن طريق الأحلام / فرط التذكر الانفعالي، كما يمكن أن تصاحب هذه الانفعالات، ولو نادرا هلاوس زائفة.

وفي موقعه الخاص يتحدث الدكتور " محمد النابلسي " عن ردود الفعل إزاء الانفجارات ويصنفها إلى:

1) ردود الفعل الأولية: التخدير الحسي عند سماع الانفجار ثم الانتقال إلى مرحلة عدم استيعاب الحدث يتبعها مرحلة الهستيريا من الصراخ والبكاء.

2) ردود الفعل قريبة الأمد: وهي صعوبات التفكير وحالة من القلق والاضطرابات.

3) ردود الفعل متوسطة الأمد: فيها يبدأ الإنسان بالشعور بعدم الاطمئنان وأحياناً الإحساس بالذنب لعدم قدرته على تقديم المساعدة وقد تنتابه حالة من الغضب الناتج عن العجز وهذا يؤدي إلى انتكاسات نفسية وجسدية.

4) ردود الفعل الطويلة الأمد: تعتمد على قدرة الإنسان على التكيف مع الأحداث

أما الموسوعة العربية فعرفت الاكتئاب وهو الكلمة الأكثر شيوعاً على لسان السوريين اليوم:

بأنه حالة من الحزن الشديد والمستمر ويبدو الشخص المصاب وكأنه في حداد دائم والكآبة واضحة على قسمات وجهة نتيجة ظروفه المحزنة الأليمة، وقد لا يعي المريض المصدر الحقيقي لحزنه، وقد يخيل له أنه مصاب بأمراض قاتكة لا أمل له في الشفاء منها أو أنه ارتكب خطيئة لا أمل له في المغفرة أو الغفران، وقد ينتهي به المرض إلى قطع أحد أعضائه وقد يصل إلى الانتحار.. أو هو حاله تشمل أو تصيب الجسم كله بالإضافة إلى الذهن والمزاج والسلوك فه يؤثر علي الشهية في الأكل والنوم وانطباعاتك عن نفسك أو عن الآخرين وكل من حولك..

وقد تتطرق العلماء العرب إلى تعريف الاكتئاب فقالوا عنه: هو دليل على التحسر على الماضي والتفكير فيه وتأمل تارة أو هو التحرق شوقا إلي معرفة

المجهول والبحث عن العلل والأسباب، وهو الفراغ الأعظم في توليد المزاج السوداوي وينبغي أن يعالج هذا المرض بالأشغال فان لم يتهيأ فالصيد والشطرنج وبعض الألعاب.

أما عوارض الاكتئاب فهي:

(1) الانقباض واليأس والقنوط وهبوط الروح المعنوية والحزن العميق والبكاء دونما سبب يظهر مع التشاؤم والتبرم بأوضاع الحياة والنظرة السوداء لها..

(2) بطؤ التفكير والاستجابة لها والحركة ثم الانطواء والانسحاب والوحدة والانعزال والصمت والسكون والشرود والذهول..

(3) عدم الاهتمام واللامبالاة بالبيئة ومن حوله وقصور الدوافع والميول والإهمال العام في الأسرة والعمل..

(4) الشعور بانعدام الجدوى وعدم القيمة واحتقاره للذات والشعور بالآثام والخطايا والذنوب وطلب العقاب ومحاولة الانتحار..

(5) الشعور بالضيق وانقباض النفس وفقدان الشهية للطعام ونقص الوزن والإمساك..

(6) الصداع والتعب وضمور الهمة وضعف النشاط العام..

(7) الأرق وقلة النوم وإذا نام فإنه يستيقظ مبكرا..

(8) توهم المرض والانشغال على الصحة والاعتقاد بان مرضه عضال وميؤوس منه..

(9) نقص الشهوة الجنسية والضعف الجنسي والبرود الجنسي..

(10) بعض الهلوسات والهذاءات وانعدام الجدوى والتفكير بالانتحار..

ويشرح الدكتور فالح بن محمد الصغير أعراض الضغط النفسي قائلاً:

إن الضغوط النفسية تضع صاحبها في كثير من الأحيان في حالات غير متزنة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ظهور آثار ونتائج سلبية على حياته ومجتمعه، ومن أهم هذه الآثار:

1 – يولد الضغط النفسي – أحياناً - في نفس صاحبه نوعاً من العنف والتطرف والنقمة على الواقع والنظر إليه بسوداوية قاتمة، أملاً في الخروج من أزمته وتخفيف وطأة المسؤوليات عليه، لا سيما إذا لم يجد من يقف بجانبه ويحمل عنه بعض أعبائه وآلامه.

2 – يؤدي الضغط النفسي إلى الانعزالية عن الحياة، والبعد عن الواقع، بل يجعل صاحبه يسبح في عالم الخيال، فيضطرب عنده منهج التفكير والتحليل، فتراه يناقش موضوعاً مألوفا بتحليلات فلسفية غامضة، أو تفسيرات شاذة لا يقبلها العقلاء والأسوياء.

3 – الضغط النفسي يؤثر في التعامل مع الآخرين أو بناء علاقات معهم، حيث يصعب على الإنسان المضغوط نفسياً بناء علاقات مع الجيران، أو صداقات مع زملاء العمل، أو مع الطلاب إن كان مدرساً، ومع الجمهور إذا كان موظفاً، ومع الموظفين إذا كان مسؤولاً أو مديراً، وهكذا مع جميع الشرائح والمستويات في المجتمع، وهو تهديد لبناء المجتمع والأفراد والمؤسسات في التقدم والرقي والازدهار.

4 – للضغط النفسي آثار سلبية كثيرة على الجوانب العضوية في الإنسان، فكثير من الأمراض العضوية هي إفرازات حقيقية للحالة النفسية التي يعيشها المريض، ومن أجل ذلك يوصي الأطباء مرضاهم بالابتعاد عن الانفعالات النفسية، لا سيما المصابين بالقلب أو الضغط أو السكر أو المعدة أو القولون وغيرها، لأن العامل النفسي يؤدي دوراً مهماً في تهدئة مثل هذه الأمراض والشفاء منها، أو إثارتها والحدّة في آثارها.

5 – يؤثر الضغط النفسي سلباً على الإنتاج في العمل والإبداع في الحياة، لأنه يُفْقِد صاحبه التوازن في التعامل مع الأشياء، وكذلك يشتت عنده الطاقات والإمكانات، فضلاً عن الاستياء من الوصول إلى تحقيق الغايات وبلوغ الأهداف.

أما عن الأزمات النفسية التي يتعرض لها العسكريون ننقل عن الدكتور. لطفي الشربيني

ومن المعروف أن الاضطرابات النفسية تؤدى إلى فقد الكثير من الطاقات البشرية في وقت السلم، أما في وقت الحرب فإنها تؤدى علاوة على ذلك إلى زيادة الخسائر وفقد الأرواح ومن هنا كانت الحاجة إلى الاهتمام بالنواحي النفسية وكل ما يتعلق بالوقاية من آثار الحروب، وتقديم الرعاية النفسية، وعلاج وتأهيل الحالات بعد الحرب، وهذا هو مجال تخصص طبي مستقل هو الطب النفسي العسكري

ودور الطب النفسي أثناء الحروب ليس شيئاً كمالياً أو ترفاً كما يتصور البعض، فإذا علمنا أن 25٪ من إصابات الحروب هي حالات اضطراب نفسي، بمعنى أن حالة واحدة بين كل أربع إصابات يتم إخلاؤها أثناء المعارك هي اضطراب نفسي يحتاج إلى التدخل العاجل، وتزيد نسبة الإصابة في الخطوط الأمامية خصوصا بين العسكريين الذين يعيشون الأجواء الحقيقية للقتال، وتزيد أيضا بصورة ملحوظة في الأفراد الذين تتعرض أماكنهم لإصابات مباشرة ينشأ عنها أعداد من القتلى والجرحى، وقد ثبت أن الأشخاص الذين يتعاملون معهم الجثث والأشلاء للقتلى والجرحى يتأثرون نفسيا بصورة تفوق غيرهم من الذين لا يرون مثل هذه المشاهد. ويدعو ذلك إلى الاهتمام بالنواحي النفسية لحماية التوازن النفسي للعسكريين في جبهات القتال والمدنيين خلف الجبهة أيضا، ولعل السبب في ذلك هو ما تتضمنه العمليات القتالية وظروف الحرب من ضغوط انفعالية هائلة تفوق طاقة الاحتمال المعتادة لكثير من الناس، ومن دواعي الاهتمام بالأمور النفسية أنها قد تؤدى إلى إعاقة يترتب عليها الإخلاء من ميدان القتال، وخسارة للطاقات البشرية.

وتبدأ مقدمات الحالات النفسية المرتبطة بالصراعات والقتال والحرب في الظهور قبل نشوب القتال نتيجة للتوتر والقلق الذي يصاحب فترة الانتظار والترقب، ومن الأعراض النفسية التي تنشأ عن ذلك الضجر والعصبية الزائدة، ومشاعر الخوف والرهبة، كما تظهر الكثير من الأعراض المرضية مثل الرعدة والغثيان وخفقان القلب واضطراب النوم والصداع والهزال، وكل هذه الاضطرابات نتيجة للحالة الانفعالية في فترة الانتظار التي تسبق المعارك.

ويلاحظ أن طول هذه الفترة تحت تهديد هجوم متوقع للعدو أو احتمال التعرض لغارات جوية له تأثير سيئ من الناحية النفسية، ويلاحظ ذلك من خلال ما يبدو على الأفراد من مظاهر الإحباط، وفقدان روح المرح ليحل محلها التجهم والكآبة، وتزداد هذه المظاهر مع احتمالات استخدام الغازات السامة أو أسلحة الدمار الشامل.

ومن أمثلة الحالات النفسية المرتبطة بالصراع المسلح والقتال حالات الاضطراب النفسي المصحوب بالخوف والرعب التي تصيب الجنود والمدنيين خصوصا عند حدوث خسائر بشرية، ومن الحالات الغريبة التي تصيب بعض الجنود توقف الحركة في أحد الذراعين وهو ما يعرف بالشلل الهستيري وغالبا ما يحدث في الذراع الأيمن بحيث لا يقوى الجندي على حمل السلاح ومواصلة القتال، ويصاب البعض بحالات من الذهول فيتصرف دون وعي بما حوله، وتذكر التقارير أن الجنود الأمريكيين كانت تتجمد أطرافهم في الحرب الكورية ليس بسبب البرد الشديد ولكن لأسباب نفسية، كما أصيب الكثير منهم بأزمات تنفس خانقة أثناء حرب فيتنام نتيجة للتوتر النفسي.

وهناك بعض الفئات من العسكريين والمدنيين أكثر عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية الشديدة وقت الحرب دون سواهم، من هؤلاء جنود المؤخرة الذين لا يشاركون فعليا في القتال لكنهم يعيشون حالة التأهب تحت تهديد هجوم متوقع للعدو، وكذلك أسرى الحرب، والذين يمكثون طويلا تحت الحصار تحيط بهم قوات معادية، كما تزيد حالات الاضطراب النفسي في العسكريين الذين ينتقلون من وحداتهم الأصلية إلى أماكن جديدة لم يألفوها، وكذلك عند صدور الأوامر بالانسحاب السريع، وهناك عوامل أخرى لها علاقة بفقدان التوازن النفسي مثل مستوى التعليم المنخفض، وعدم استكمال التدريب والإعداد الجيد، ووجود تاريخ سابق لاضطرابات انفعالية حيث يؤثر ذلك سلبيا عند التعرض لمواقف الحرب العصيبة.

ولعل من أبسط العلاجات المتاحة للاضطراب النفسي عند الأطفال، العلاج باللعب، والذي تعرفه الدكتورة فاديا حطيط: إنه تقنية تستخدم شتى أنواع الألعاب من أجل بناء تواصل مع الطفل وفهم الصعوبة التي يمر بها والتي لا يستطيع التعبير عنها باللغة أو بأشكال التواصل المباشرة. وهي تسمح للطفل بالقيام بما يأتي:

- التعبير عن أفكاره ومشاعره وتجاربه.
- استعادة الأحداث في أثناء اللعب وحل الصعوبات.
- رؤية وجهة نظر الطفل وليس الأهل أو الكبار المحيطين به.
- مشاركة الطفل بنفسه في إجراء أي تغيير.

وطرائق العلاج باللعب متعددة، منها ما يتعامل مع الطفل إفرادياً ومنها ما يتعامل مع الطفل من خلال أسرته أو جماعة الرفاق.

يشكل اللعب أداة تعبير هامة لدى الأطفال، خصوصاً وان هؤلاء لا يجيدون امتلاك اللغة للتعبير عما يشعرون به ويفكرون فيه. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الذين يعانون من أمراض نفسية (المتوحدون مثلا) أو اولئك الذين يكونون في حالة من عدم التوازن الانفعالي بحيث يعجز الكلام عن نقل مشاعرهم. من هنا نشأت محاولات عديدة لتوظيف اللعب لغرض التواصل مع الأطفال، ونشأ عن ذلك مدارس متعددة في العلاج باللعب.

أخيراً لعل العلاج الناجع للشدة النفسية هو الأمل بغدٍ أفضل، وتناسي الآلام لا نسيانها، فمع تفهمنا للحاجة النفسية الجمعية التي تدفع الناس لتناسي أهوال الحرب بوصفها لونا من ألوان المقاومة للإحباط واليأس وتصميمٌ على الاستمرار في الحياة إلا أن التناسي يكون بالاعتراف بوقوع الأخطاء والجرائم من الطرفين وإن إختلفت النسبة، لا بإنكار حدوثها أصلاً، هكذا نتصالح مع أنفسنا مقدمة لأن نتصالح مع الآخر

نتذكر لننسى، ننسى المجازر لنتذكر الدروس..

سقوط النظام

■ خالد كنفاني

إن ما يحدث في مصر هذه الأيام يجب أن يكون موضع تأمل من قبل أولئك الحالمين بحكم سوريا بعد سقوط النظام مباشرة وتأسيس الدولة "المدنية" على أنقاض التعصب والكراهية والحقد الدموي والعنف المتزايد.

والسبب في ذلك يعود إلى اعتبار أن الثورة المصرية كانت بالفعل ثورة "ياسمين" حيث وقف الجيش إلى جانب الشعب وقدم الحماية للبلد والثورة والشعب وتمت بعد ذلك العملية السياسية وإن بكثير من النقاش والمحاورات والأخذ والرد ولكنها تبقى في النهاية في موضع السياسة لا موضع العنف الحيواني الغريزي.

ثورة ناعمة كهذه الثورة كانت كافية لإطلاق طاقات وقدرات المصريين بكل الأشكال، والطاقات هنا لم تكن على الدوام إيجابية، وانطلق الشعب يكسر كل القيود، فلم تعد تردعه دبابة ولا يقف في طريقه مخبر ببذلة رخيصة وجهاز لاسلكي لا يعرف كيفية استخدامه.

لا تزال الأحداث المتلاحقة في مصر تكشف حجم القمع والكبت الذي كان يعيشه هذا الشعب ولم تكن آخر طاقاته المتفجرة تحدي حظر التجول وكأنه لم يكن حيث خرج الآلاف في شوارع محافظات الإسماعيلية وبورسعيد والسويس ساخرين من حظر التجول دون أن يجرؤ عسكري واحد على المساس بهم.

نقول أن هذه الأحداث وغيرها يجب أن تكون درساً عميقاً لمن يدعون اليوم قيادة الشعب وتمثيله في الفنادق والمنتجعات ومن يرطنون بالفرنسية والانكليزية في صالات المؤتمرات والمنتديات الراقية بينما يموت الشعب يومياً دون أدنى وازع من ضمير.

الشعب السوري الذي تعرض ولا يزال إلى واحدة من أقسى المحن في تاريخه سيخرج بعد سقوط النظام مشبعاً بالكراهية والعنف والانتقام وخاصة بعد اعتياده التعايش مع غريزة البقاء كمحرك أساسي لتوجهاته وتحركاته، وكل علوم الاجتماع على وجه الأرض (وهو علم مهمل بالمناسبة في بلاد العرب) تقول بأن إعادة تحويل هذا الشعب إلى المدنية والحضارة هي مهمة شاقة وطويلة وليست أمراً مرتبطاً بحدث ما كسقوط النظام من عدمه.

إن أوهام هيئات المعارضة التي تتضخم يوماً بعد يوم بقدر تضخم بطونهم من كثرة الأكل والدلال في الفنادق المختلفة زائلة حكماً وهم يعرفون حق المعرفة أنهم لا يملكون الكلمة أو الأمر على أصغر طفل في الداخل السوري فما بالك بحملة السلاح من كل الأطراف؟

إن نداءاتنا المختلفة للائتلاف الوطني بالبدء بالدخول إلى المناطق التي يزعمون "تحريرها" لم تجد صداها لدى أي منهم حتى الآن، لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه لا ولن يوجد من يستمع إليهم بعد أن صار الرصاص سيد الموقف. بل إنهم يستبدلون ذلك بالمزيد من السفريات والرحلات المكوكية والتي تهدف إما إلى استجداء الأموال لأن مصاريف السفر كبيرة كما هو معلوم أو للظهور الإعلامي خوفاً من هروب أضواء الكاميرات وبالتالي هروب دفاتر الشيكات التي يتم صرفها بعد كل مقابلة يكون رأس مال المعارض فيها الكثير من الصياح والشتائم والقليل من الفكر السياسي أو الاجتماعي أو حتى الغذائي.

ترفض دول الخليج وفي مقدمتها السعودية والكويت والبحرين دخول السوريين إلى أراضيها حتى ولو بهدف العمرة، فقد بات بيت الله حكراً على جنسيات معينة بينما تقرر "المملكة" أحقية من يدخل بيت الله باعتبارها أرض الله. ولم ينس "خادم الحرمين" أن يرسل ألفي كرفانة إلى مخيم الزعتري بسبب موسم الأمطار. ولا يزيد الأمر عجباً سوى تبجح شخصيات معارضة كممثل الائتلاف في الخليج أو رئيسة منظمة نسوة بالدعم "الهائل" الذي يقدمه الخليج للثورة مستشهدين بتصريحات بعض المسؤولين السعوديين الذين خرجوا من التاريخ ودخلوا عصور المومياء منذ زمن بعيد.

إذا لم يفهم أعضاء الائتلاف الوطني الموقرون وأشباههم من هيئة التنسيق وغيرها أن هذا الشعب لا يمكن حكمه ولا بأي شكل من الأشكال بعد اليوم فإن عليهم أن يعودوا إلى فنادقهم ويغلقوا الأبواب ويقرؤوا بعض مبادئ علم السياسة والاجتماع، فبناء الأمم في التاريخ لم يكن بين ليلة وضحاها. احتاجت فرنسا إلى مائة وستين عاماً بعد الثورة الفرنسية لإقرار حق المرأة في التصويت! وأرجو من المتكلمين والمتفلسفين أن لا يغنوا معلوماتنا بأن السوريين اليوم أكثر تقدماً وأن لا يصدعوا رؤوسنا بحضارة عشرة آلاف عام فكل ذلك ترهات فقدت بريقها ولا تصلح إلا لسياسة إعلامية فوقية تشابه تماماً سياسة البعث في تصوير الجيش الخارق والشعب المتفوق والشوفينية الوطنية الهلامية.

أطل علينا السيد معاذ الخطيب بتغريدة أثارت حوله من الزوابع ما يكفي لهدم ناطحة سحاب. ولم يكن فحوى التغريدة سوى بعض الكلام العاقل في زمن الجنون، فقد كان يتحدث عن "مقدمات" للحوار مع "بعض" ممثلي النظام حقناً للدماء في سوريا وبشروط مسبقة أهمها الإفراج عن المعتقلين. وهنا رأى بعض "أشاوس" المجلس الوطني أن ملايين الدولارات ستصبح في خطر وسيتوقف شلال الأموال في حال بدء مفاوضات فعلية ترسم ملامح أمل في إنهاء المشهد الدموي السوري، فثارت ثائرتهم وقرروا "بالإجماع" التبرؤ من الخطيب وتصريحاته وتغريداته واعتبروها نشازاً مؤكدين على استمرار "المقاومة" من فنادقهم وعبر الشاشات الذهبية والسكايب.

لا يريد السوريون أن يقرؤوا التاريخ وإن قرؤوه فهم لا يريدون أن يفهموا. في كل الثورات والنزاعات والصراعات والحروب وغيرها كان القتال يصل إلى مراحل متقدمة ويصبح الطرفان على مسافة واحدة أو يمتلكان أجزاء من الأرض والمواقع ثم يبدأ التفاوض من موقع القوة لدى أحد الطرفين أو لدى كليهما. أما أن تستمر الحالة الدموية التدميرية المشبعة بالانتقام والكراهية والسلب والنهب وتقاسم "الغنائم" التي دفع ثمنها الشعب عبر عقود من الظلم والتعب فهذا مما نعتبر وبكل صراحة وجود مصلحة ما لبعض الأطراف باستمرار الصراع لأن المعلوم أن الحروب هي أهم مصدر للأموال والتجارة والإثراء، ناهيك عن حالة التدمير المنهج للدولة بكل مقدراتها سواء من شبيحة النظام أو من مئات الكتائب والفصائل المنتشرة في كل مكان (أطلق أهل الريف الحلبي اسم "كتائب شهداء النحاس" على إحدى الكتائب التي قامت بنهب معمل كابلات حلب عن بكرة أبيه وتهريب النحاس الموجود بداخله إلى تركيا وبيعه بأبخس الأثمان بينما "استشهد" أحد أفراد الكتيبة أثناء حمله إحدى بكرات النحاس وعبوره الحدود!)

تبرع "المانحون" بما يقارب 900 مليون دولار أمريكي لمساعدة "اللاجئين" السوريين، وهكذا يتم وكما توقعنا تماماً تكريس حالة اللجوء كحالة شبه مستديمة ولتتحول شيئاً فشيئاً إلى مورد رزق وتسول للدول المستضيفة بينما تصبح وسيلة إراحة ضمير للدول المانحة إرضاء للرأي العام. لم نفهم مثلاً كيف يتم استبعاد سوريا كلياً من مؤتمر للتنمية العربية تعقده "مملكة الإنسانية" في الرياض بينما شعار المؤتمر "توفير تنمية مستدامة للشعوب العربية"، فهل يتم إخراج السوريين من دائرة الشعوب العربية لمجرد وجود مجموعة مجانين على رأس الحكم؟ لم يكن مطلوباً استضافة أية شخصية رسمية من قبل النظام السوري ولكن كان بالإمكان استضافة أية شخصية "وطنية" ولو بصفة مستمع، أما أن يتم الحكم على السوريين بالتخلف بينما يبحث أقرانهم التنمية فهذا ظلم إضافي يضاف إلى قائمة "الامتيازات" التي تمنحها دول البترول للسوريين. وإذا كان مبلغ 900 مليون سيذهب إلى اللاجئين عن طريق الحكومات فتلك مصيبة معروفة المدى، وإذا كانت هذه الملايين ستذهب إلى اللاجئين عن طريق الائتلاف الوطني أو المجلس الوطني فالمصيبة أعظم وسيتحول محدثو الثورة إلى محدثي ثروة وسيشكلون مع الفرق المسلحة ثنائياً جديداً يكرر سيناريو البعث الذي زاوج بين السلطة والثروة ونجح في قمع السوريين على مدى عقود طويلة.

لا نعلم نهاية النفق المظلم الذي دخلته سوريا ويبدو أن لا أحد يعلم فالسفير روبرت فورد آمن بالله قائلاً: "أن الله وحده يعلم متى سيسقط النظام" وهكذا انتشى السلفيون فهم يرون أن هداية فورد أهم من سقوط النظام، ودرجاته في الجنة أهم من أدراج أقبية المخابرات المظلمة العفنة. سيأتي يوم وتشرق الشمس من جديد ولكن الثمن سيكون غالياً جداً وخاصة في ظل السياسات "الحكيمة والملهمة" من "قادتنا" في الائتلاف الوطني والمجلس الوطني وهيئة التنسيق وكتيبة أبو عبدو وفيلق الضباب ولواء القبعات السود.

آخر الكلام، يقول الشاعر أحمد مطر:

قَلْ جاءَنا الطُّغيانُ، بالصُّدفَةِ، مِنْ غَيمَهْ
وقَلْ معَ الأمطار
جاءتْ بذرةُ الطُّغمَةْ
قُلها ودعني بَعدها أسألكَ بالذِّمةْ
لو لمْ يُساعِدهُ الثَّرى، والشَّمسُ، والنَّسمَةْ
كيفَ دَهَا الطُّغيانُ؟
كيفَ التَهَمَتْ قلبَ الثَّرى
أنيابهُ الضَّخْمَةْ
وكيفَ تحتَ ظِلِه
ماتَ الهَوا مُختَنِقاً
منْ شِدَّةِ الرَّحمَةْ

لافروف وعودة الابن الضال

■ خالد قنوت

أندريه غروميكو دبلوماسي ورجل دولة وشخصية سياسية سوفيتية تولى في الفترة من 1957 وحتى 1985 منصب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي أطلق عليه الغرب لقب "السيد.. لا" بسبب صلابة مواقفه وعناده في المفاوضات.

تذكرت هذه الشخصية الاسطورية من تاريخ الاتحاد السوفيتي اليوم عند سماعي لكلام أطلقه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف عن الأزمة السورية وعن حلوله السياسية لها في مؤتمر صحفي في موسكو وقد تأبط الأخضر الإبراهيمي الذين رسما طريق الخلاص السوري إما بحل سياسي روسي وإما الجحيم.

لفهم سياسة الخارجية الروسية الحالية تجاه الربيع السوري والعربي، لا بد من عرض تاريخي لسياسة الاتحاد السوفيتي السابق تجاه القضايا العربية.

في عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وعندما كانت حركات التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا، ومنها حركات التحرر العربية التي استمرت حتى الستينات، تخوض حروباً طاحنة ضد الاستعمار الأوروبي، البريطاني والفرنسي والإيطالي والبرتغالي والبلجيكي، وقفت موسكو تتفرج! كانت حركات التحرر الوطني في أمس الحاجة إلى حليف دولي يقف إلى جانبها، لكن موسكو كانت ترى أن المعركة الحقيقية ضد الإمبريالية يجب أن يتم خوضها في داخل المتروبول الأوروبي وتقودها الطبقة العاملة ضد الرأسمالية المحلية التي إنْ انهارت فإن الإمبريالية والاستعمار الخارجي سوف ينهاران. كانت نتيجة ذلك الموقف، الذي تبدل ببطء لاحقاً، إن حركات تحرر كثيرة اضطرت إلى الوصول إلى صفقات مع المستعمر لا تلبي كل الطموحات الوطنية.

كان للقضية العربية المركزية، قضية فلسطين العامل الأكبر الذي لجأت أو اضطرت إليه الدول العربية الأكثر قرباً من الصراع العربي الاسرائيلي لقبول أيديولوجية اشتراكية ضمن نضالها الوطني والقومي حيث وجدت في الاتحاد السوفيتي الحليف، ضد الدعم اللامحدود للقوى العظمى للدولة الصهيونية الناشئة من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية طبعاً، كانت هناك مواقف مؤيدة للحق العربي في كثير من الأزمات في الأمم المتحدة ولكنها كانت خجولة في الميادين الأخرى.

لكن الشكل الأيدولوجي الاستبدادي الستاليني انتقل إلى تلك الدول العربية على أنه الشكل المثالي للاشتراكية أو للشيوعية وتسابقت الأحزاب الشيوعية والاشتراكية العربية في إضفاء روح القداسة على هذه الأيديولوجيا متناسين المبادئ والأفكار والمفاهيم التي عمل عليها كبار مؤسسي الاشتراكية في العالم في حكم الشعوب الكادحة وامتلاكها لوسائل الإنتاج كحل إنساني وعلمي للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية المستفحلة.

من أهم ما نقلته الانظمة الاشتراكية العربية من الستالينية السوفيتية هو العناد والصلابة في المواقف ضد شعوبها، فتعلمت من أجهزة الأمن السوفيتية ودول أوربا الشرقية دروساً دموية في التعامل مع السياسيين المعارضين وكذلك مع المواطنين بشكل عام.

إن إنهيار الاتحاد السوفيتي لم يؤدي إلى انهيار العقلية الستالينية بالمطلق بل على العكس فقد أضافت إليها العقلية المافيوية عندما خرج أعضاء من الأجهزة الحزبية والأمنية السوفيتية وفي أرصدتهم أموال نهبوها طوال عقود ليعودوا للسلطة من خلال تلك الأموال وليعيدوا بناء الإمبراطورية الروسية على أسس جديدة وليمسك الإمبراطور الجديد بوتين بروسيا دون منازع.

السياسة الخارجية الروسية لم تخرج من عباءة العناد والصلابة السوفيتية بعد أن أدت لتفكك الاتحاد السوفيتي وتراجعه المخزي أمام توحش الامبريالية الأمريكية في دول كانت تعتبر حصوناً متقدمة لموسكو فسكتت عن حرب الخليج الأولى ضد صدام واحتلال أفغانستان والعراق وحتى عن محاصرتها في دول الاتحاد السوفيتي السابق.

الظروف العالمية التي أدت لارتفاع أسعار النفط أدت إلى إعادة الحياة إلى السياسة الخارجية الروسية من جديد ولكن هل غيرت من عقليتها وهذا هو السؤال؟

مع بداية الربيع العربي، وقفت السياسة الروسية مواقف مريبة تجاه الشعوب العربية الطامحة للحرية والعدالة.

وقفت مع القذافي في ليبيا لكنها خسرت ليبيا للأبد لأن القاصي والداني يعرف أن للدب الروسي دية ومن يريد المساومة فأروقة الأمم المتحدة جاهزة وحسابات الأرصدة الروسية معروفة.

أما عند الربيع السوري، فقد كانت السياسة الروسية هي الأكثر عناداً وصلابة في دعم سياسي وعسكري وأمني واقتصادي روسي للنظام لقمع الشعب السوري الثائر واقتلاع ثورته من جذورها.

لقد فرضت السياسة الروسية على العالم إيقاعات مدروسة وصارمة في المحافل الدولية، هنا لا نستبعد فكرة تبادل أدوار بين القوى العظمى غير الجاهزة للمغامرات العسكرية حتى اليوم في سورية، كما فتحت مخازن أسلحتها الفتاكة لكي يستخدمها النظام السوري في قمع ثورة الشعب في حين كانت قطع التبديل للأسلحة الروسية في سورية حلم لا يدركه السوريين في أشد الأوقات حاجة له.

صفقات الأسلحة، المناورات العسكرية، طباعة الأوراق النقدية السورية بدون أرصدة، غرفة عمليات عسكرية وأمنية واستخباراتية روسية إيرانية أسدية مشتركة، عروض سياسية ومهل، تصاريح متضاربة بين قادة عسكريين وقادة سياسيين عن الأوضاع وعن مصير النظام والثورة، اللعب على الورقة الطائفية والإثنية كوجود المسيحيين الشرقيين (السكان الأصليون لسورية) والشركس (الهاربين من بطش الستالينية)، ليقف اليوم رئيس الدبلوماسية الروسية العنيدة والصلبة ليقول أن الحل بين الشعب السوري الثائر وهذا النظام هو حل سياسي وبوجود الأسد، بحجة أن لا مونة للروس على الأسد العنيد الصلب، أيضاً.

يضيف في سياق دبلوماسي سياسي، عنيد وصلب أيضاً، أن البديل هو مزيد من الخراب والموت والحرب الطائفية وقد شد يده إلى يد موفد الجامعة العربية والأمم المتحدة السيد المخملي الأخضر الابراهيمي بأن الجحيم هو البديل.

كم لك من الخبرة يا استاذ معاذ الخطيب في السياسة والحنكة السياسية حتى ترفض هذا العرض الروسي من دبلوماسي خبير يمثل أعند وأصلب سياسة في العالم سليلة عند وصلابة غروميكو، قدس الله سره؟.

كان من المفروض منك يا شيخنا الجليل وقد تناسوا أنك تحمل درجة علمية عالية، أن تنسى 45، 0000 شهيد سوري و150، 000 معتقل، 3، 000، 000 نازح خارج وداخل الوطن ومئات آلاف الجرحى من أطفال ونساء وشيوخ وشباب وشابات سورية، و2، 000، 000 منزل مدمر حتى الآن، لتفتح ذراعيك للعظيم لافروف وتركض إليه مطأطئ الرأس لتقبل بحله السياسي العنيد والصلب، فقد يسمح لك بمقابلة زعيم المافيا الروسية وممكن أيضاً أن يمن عليك بمقابلة زعيم المافيا السورية إذا لم تعترض على ترشحه لولاية جديدة في 2014.

لم ينتظر النظام الخائن يوماً واحداً إضافياً ليثبت تهديد لافروف العنيد والصلب، فيرسل حيوانته وشبيحته إلى دير بعلبة بحمص ليكتب في كتب التاريخ أعلى عدد للشهداء السوريين، 400 شهيد قتلاً وحرقاً وتنكيلاً.

من الآخر..

السيد لافروف العنيد والصلب، يبدو أنك لم تقرأ التاريخ ولم تعرف عن عناد وصلابة الشعب السوري شيئاً، خاصة اليوم.

القادمون من الداخل السوري يروون قصصاً وأحاديث عن السوريين هناك، ما لا يمكن وصفه وكتابته في كلمات وأسطر قليلة. السوريون يسطرون بدمائهم وجراحهم وعذابهم ومن بين ركام بيوتهم وجوع أطفالهم، قصيدة ملحمية إنسانية تصل إلى حد القداسة عنوانها صمود وإصرار، صبر واجتهاد والأهم عناد وصلابة حتى تحقيق نصر ثورتهم على كامل التراب السوري ومن أجل كل السوريين.

السيد لافروف العنيد الصلب، سليل غروميكو العنيد الصلب، لقد دخلتم الشرق الأوسط عندما دخلتم عقول وقلوب السوريين لما دافعتم عن قضاياه وحقوقه واليوم ستخرجون من الشرق الأوسط لأنكم خرجتم من عقول وقلوب السوريين عندما دافعتم عن طغاته وشاركتم في سفك دمائهم.

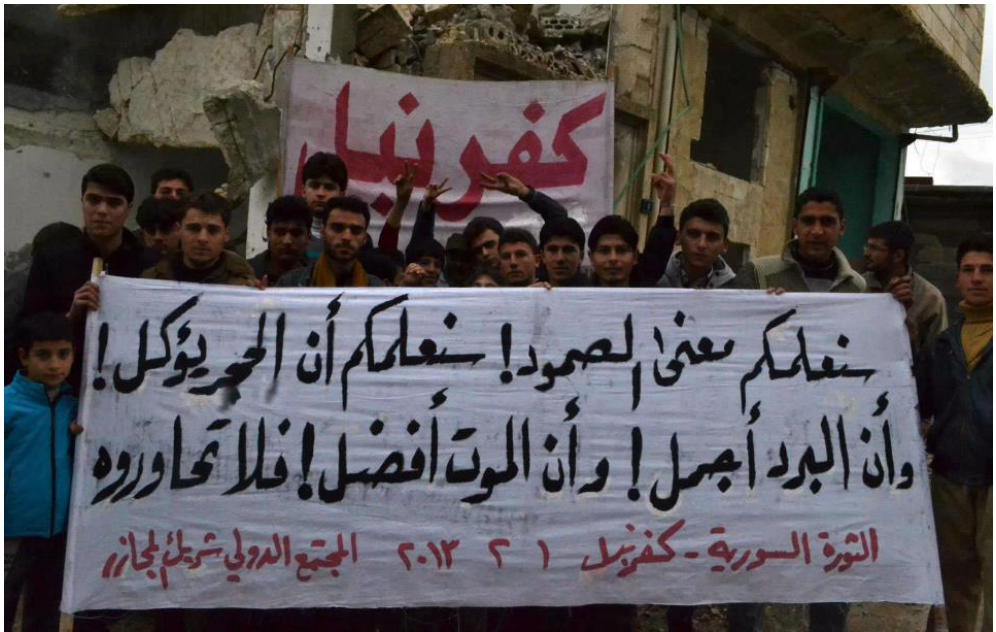

المرحلة الأخطر في الثورة السورية

■ ياسين الحاج صالح

لُمحت قبل نهاية 2012 مجموعة علامات تسوغ الكلام على مرحلة جديدة، قد تكون الأخطر، في مسار الثورة السورية.

أولى هذه العلامات ضرب من المراوحة في المكان على صعيد المواجهة المسلحة التي تتصدر أنشطة الثورة منذ منتصف الصيف الماضي. عدا السيطرة على مطار تفتناز في العاشر من الشهر الجاري، لم يتحقق للمقاومة المسلحة تقدم مهم، بل إن هناك شكوى متواترة من نقص الذخيرة في أوساط المقاتلين، والنظام هو مَن يتخذ وضعاً هجومياً في مناطق من دمشق الكبرى (الغوطة الغربية: داريا والمعضمية) وحمص.

العلامة الثانية تصاعُد دور مجموعات إسلامية سلفية في المقاومة المسلحة، تعرض مقداراً أكبر من الانضباط والكفاءة القتالية، لكنّ لها أهدافاً مغايرة عما يفترض أنه التطلعات المؤسسة للثورة. وهي إن كانت لا تمارس انتهاكات بحق الممتلكات في المناطق التي تنشط فيها، فإن لها نسق انتهاكاتها المغاير: محاولة فرض نمطها الاعتقادي والاجتماعي على السكان. الأشْهر بين هذه المجموعات «جبهة النصرة لأهل الشام». والصفة الطائفية المبدئية للمجموعة السلفية تُغرِّب جميع غير السنّيين، ويُغرّب نهجها الإكراهي أكثرية السنّيين أيضاً.

العلامة الثالثة انتشار سلوكيات ومظاهر «فلتة الحكم»، أي غياب أي سلطة في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، من سلب ونهب، وتوسل السلاح في تصفية حسابات شخصية أو عشائرية قديمة. هذا منتشر في مناطق الجزيرة السورية بخاصة، لكنه غير مقتصر عليها، وليس بعيداً منه اعتداء مسلحين محسوبين على «الجيش الحرّ» على بلدة رأس العين ذات الغالبية الكردية، حيث تتداخل مظاهر الفلتان مع توتر عربي - كردي عمره عقود في محافظة الحسكة. يسهل الأمر امّحاء الحدود بين مجموعات المقاومة المسلحة ومجموعات زعران أو «مشلحين»، مع العلم أن الفلتان وامّحاء الحدود هذا هما مصدر القوة الأساسي لجبهة النصرة وأشباهها.

في المقام الرابع يبدو أن محصلة تأثير القوى الدولية الفاعلة، المنتظمة في تجمع «أصدقاء الشعب السوري»، تتوافق كذلك مع المراوحة في المكان عبر الامتناع عن دعم المقاومة المسلحة بما يمكّنها من كسب المعركة، مع كونها غير قادرة على التأثير في النظام بوسائل أخرى. النظام ارتد في المرحلة السابقة (ابتدأت منتصف صيف العام الماضي) إلى نواته الصلبة في الداخل (المركّب السياسي الأمني أو «الدولة الباطنة»)، وإلى تحالفه الإقليمي الصلب (إيران و «حزب اللّه»)، ولم يعد قابلاً للتأثر بالمستوى الحالي للرفض الدولي لسلوكه.

خامساً، استمرار ضعف الدور القيادي للمعارضة المنظمة. «الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة» لا يبدو قادراً أو حائزاً على المقدرات التي تمكنه من التأثير في سير الأمور في الداخل. وهو واقع بين ضغوط متعددة الاتجاهات من الداخل وضغوط الخارج التي يبدو أنها متعددة الاتجاهات أيضاً. ويشكو الائتلاف نقصاً في الموارد على مستوى الإغاثة، وعلى مستوى الدعم العسكري، فضلاً عن مشكلات ضعف تماسكه الذاتي أيضاً. لن يسمع منه أحد ما إذا كان غير قادر على أن يحل مشكلة لأحد أو يقدم لأحد شيئاً.

ويمكن أن نضيف التفاقم المتسارع للملف الإنساني للحرب الأسدية، مع تجاوز عدد اللاجئين في البلدان المجاورة 600 ألف، ومليونين ونصف مليون على الأقل من النازحين في الداخل.

تسجل هذه المرحلة الجديدة اختلافاً مهماً عن أية مرحلة سابقة عرضت في مسار الثورة المتموج خلال نحو عامين. في المراحل السابقة كانت الثورة صراعاً بين قطبين، يواجه النظامَ فيه طيفٌ ضعيف التجانس، لكن توحده قضية عامة، التخلص من النظام. اليوم انكمش النظام إلى نواته الصلبة وتوسع أكثر في حربه الإجرامية، بينما يعرض الطيف الثائر تشتتاً كبيراً، ويشكل بعض المجموعات المحسوبة عليه عبئاً يثقل كاهله، سواء لتشددها الديني، أو بالعكس لانحلالها وانفلاتها من أية ضوابط. في الوقت ذاته يتقدم مستوى تدويل الصراع السوري، مع تعذر حسمه داخلياً، وهذا على رغم إحجام «أصدقاء الشعب السوري» عن دعم الثائرين السوريين، ومع سخاء وقوة قلب أصدقاء النظام السوري في دعمه.

ويبدو أن النظام أول المستفيدين من سير الأمور في هذه المرحلة الجديدة. كان خطاب بشار الأسد في دار الأوبرا في السادس من الشهر الجاري مؤشراً إلى ذلك. النظام الذي تصرف حيال البلد كما لا تتصرف قوة احتلال أجنبي، والمتيقن أكثر من أي وقت، بحصانته من العقاب على رغم تفننه في الإجرام، لماذا لا يمعن في التفنن؟ يناسبه كثيراً أيضاً أن تنتشر ظاهرة جبهة النصرة، لأن ذلك يفيد في تغريب قطاعات أوسع من السوريين عن الثورة، ويُسهّل له بيع سردية الحرب على الإرهاب إلى قوى غربية راغبة في الشراء. ويسعده بالمقدار ذاته وأكثر أن تشيع مظاهر «فلتة الحكم» في المناطق الخارجة عن نفوذه، لأن الثائرين هم من سيُلامون على ذلك، ولأنه يضفي الشرعية على مبدأ أساسي في فلسفة الاستبداد: الناس وحوش وأشرار ولا ذمّ لهم.

يناسب السير الحالي جبهة النصرة ذاتها. فمثل شبيهاتها تكون في أحسن حال كلما كانت الأوضاع العامة أسوأ، ومن شأن إمعان النظام في توحشه، وتعثر أية قوى وطنية معتدلة، كما هو حاصل اليوم، أن يضفي عليها مقداراً أكبر من الصدقية.

ولا تبدو متعجّلة لطي صفحة هذه المرحلة، أية قوى غربية تقارب الشأن السوري من مدخل مواجهة الإرهاب (لن تدعم المعارضة) أو حماية الأقليات (تتخوف من الحاضنة السنّية للثورة) أو «أمن» إسرائيل (النظام أفضل البدائل، وإلا فالفلتان)، أو هي تلحق الصراع السوري بإيقاعات المنازعة مع إيران وملفها النووي. آخر همّها حرية السوريين وحياتهم.

المتضرر الأكبر من الأفق الجديد هو ملايين السوريين من الذين تأذوا مباشرة ويتطلعون إلى العودة إلى مواطنهم وترميم حياتهم، وكذلك ملايين المتطلعين إلى أوضاع سياسية جديدة. كذلك أية قوة سياسية منظمة، بمقدار ما تحاول التأثير في سير الأوضاع السورية في اتجاهات أكثر تحرراً وعدالة.

في المحصلة، على أعتاب سنتين من تفجّرها، تبدو الثورة السورية في وضع هو الأشد حراجة: فوق 100 من السوريين يقتلون كل يوم، والنظام آمن جداً في إجرامه، وأكثر من حماة واحدة رأينا ورأى العالم، والقريب والبعيد شهود!

الحياة اللندنية 27 / 1 / 2013

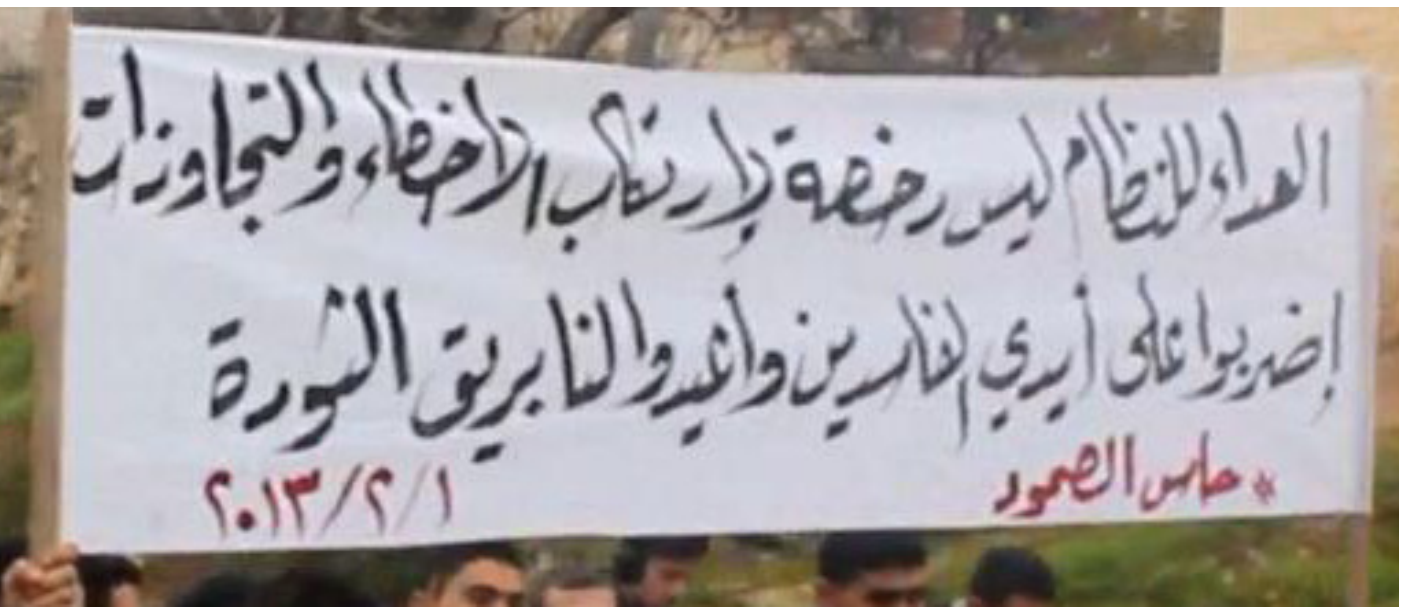

مرض الموت في التشريع السوري (2)

■ ياسر مرزوق

الإثبات في بيع المريض مرض الموت

تظهر أهمية الإثبات هنا بوصفه الدرع الواقي للحقوق والأداة الفعالة في تحقيق العدل، ويعدّ إثبات مرض الموت من أكثر الموضوعات القانونية تطبيقاً وأشدها حيوية، إذ يتوقف عليها ميزان العدل وإحقاق الحق. وتقتضي دراسة الإثبات في بيع المريض مرض الموت، تحديد عبئه ومضمونه.

أولاً: عبء الإثبات في بيع المريض مرض الموت:

يقع على عاتق الورثة عبء الإثبات في بيع المريض مرض الموت، لأنهم هم الذين يطعنون في بيع مورثهم بأنه صادر في مرض الموت، والأصل أنه ليس صادراً في مرض الموت، ويجب على من يدعي خلاف الأصل إثبات ذلك.

ثانياً: مضمون الإثبات في بيع المريض مرض الموت

1 - إثبات حالة المرض: يجب على الورثة إثبات حالة مرض الموت، ويثبت الورثة حالة مرض الموت بإثبات شروط مرض الموت المتقدمة، فيثبت الورثة نوع المرض، وغلبة خوف الموت فيه وقت حصول التصرف. ولا يغني بيان نوع المرض من بيان غلبة الهلاك فيه وإقامة الدليل على ذلك، ويثبت الورثة أيضاً عجز المريض عن رؤية مصالحه في المرض، ويثبتوا كذلك أن المرض قد انتهى بالموت فعلاً، وأن أمده لم يطل عن السنة، وتجدر الملاحظة إلى أن إثبات حصول المرض أو نفيه هو مسألة واقع تستخلصه محكمة الموضوع من وثائق وتحقيقات القضية ولا رقابة عليها من محكمة النقض متى كان قضائها مبنياً على أسباب سائغة، وأكدت هذا الحكم محكمة النقض السورية حيث قالت: « إن حصول هذا المرض وتوفر شروطه مسألة واقع تستخلصه محكمة الموضوع».

ويتم إثبات حالة مرض الموت بجميع طرق الإثبات لأنه واقعة مادية، ويثبت الورثة عادة حالة مرض الموت بالاستشهاد بأقوال الأطباء الذين كانوا يعالجون المريض بالاستناد إلى الشهادات المقدمة منهم، ولا تتوقف دعوة الأطباء إلى المحكمة لاستكمال التحقيق على طلب أو رضاء الخصوم. ويثبت الورثة حالة مرض الموت أيضا بشهادة الشهود.

2 - إثبات صدور البيع في مرض الموت:

لا يكفي الورثة أن يثبتوا حالة مرض الموت، ولا بد من أن يثبتوا أيضاً صدور البيع في مرض الموت، ويتم إثبات صدور البيع من المورث وهو في مرض الموت بإثبات أن تاريخ البيع كان وقت المرض لا قبله، ويكون لهم الإثبات بجميع طرق الإثبات، ويكون تاريخ البيع العرفي حجة على الورثة كما كان حجة على مورثهم، لأنهم يعدّون خلفاً لمورثهم وليسوا غيراً من حيث ثبوت التاريخ، وبناءً على ذلك لو كان البيع مؤرخاً تاريخاً عرفياً في وقت ثبت أن المورث لم يكن فيه مريضاً، فيكون هذا التاريخ العرفي حجة عليهم، ولكن لهم أن يثبتوا أن هذا التاريخ قد قُدِّم عمداً لإخفاء أن البيع قد صدر في مرض الموت، وأن التاريخ الذي صدر فيه البيع متأخراً عن التاريخ الصوري المذكور في التصرف ويقع في وقت كان فيه المورث في مرض موته، فإذا أثبتوا ذلك - ولهم أن يثبتوه بجميع طرق الإثبات لأنهم يثبتون غشاً وواقعة مادية - يصبحون من الغير من حيث سريان البيع، ولا يعود البيع الصادر من المورث يسري في حقهم إلا في الحدود التي أقرها القانون. فإذا باع المريض مرض الموت، لوارث أو لغير وارث، بثمن يقل عن قيمة المبيع وقت الموت، فإن البيع يسري في حقّ الورثة، إذا كانت زيادة قيمة المبيع على الثمن لا تتجاوز ثلث التركة، داخلاً فيها المبيع ذاته.

أما إذا كانت هذه الزيادة تجاوز ثلث التركة، فإنّ

البيع، فيما يجاوز الثلث، لا يسري في حقّ الورثة إلا إذا أقروه، أو ردّ المشتري للتركة ما يفي بتكملة الثلثين.

كما نصّت المادة 877 مدني على أنّ كل عمل قانوني يصدر من شخص في مرض الموت، ويكون مقصوداً به التبرع، يعتبر تصرفاً مضافاً إلى ما بعد الموت، وتسري عليه أحكام الوصية، أياً كانت التسمية التي تعطى لهذا التصرف. وعلى ورثة من تصرف أن يثبتوا أنّ العمل القانوني قد صدر من مورثهم وهو في مرض الموت، ولهم إثبات ذلك بجميع الطرق. فإذا أثبت الورثة أنّ التصرف صدر من مورثهم في مرض الموت، اعتبر التصرف صادراً على سبيل التبرع، ما لم يُثبت من صدر له التصرف عكس ذلك. كل هذا ما لم توجد أحكام خاصة تخالفه.

طلاق المريض مرض الموت

طلاق المريض مرض الموت وهذا ما نصت عليه المادة 116 من قانون الأحوال الشخصية في القانون السوري. وإذا تساءلنا عن مرض الموت نجد بأن القانون المدني لم يأت بتعريف لمرض الموت لذلك وجب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية التي استمد منها الشارع أحكام تصرفات المريض مرض الموت لمعرفة ماهية مرض الموت وأحكامه.

وبالرجوع إلى الشريعة الإسلامية نجد أن المادة 1595 من مجلة الأحكام العدلية عرفت مرض الموت بقولها: (مرض الموت هو المرض الذي يخاف فيه الموت في الأثر الذي يعجز المريض عن رؤية مصالحه الخارجية عن داره إن كان من الذكور، ويعجز عن رؤية المصالح الداخلة في داره إن كان من الإناث، ويموت على ذلك الحال، قبل مرور سنة صاحب فراش كان أو لم يكن، وإن امتد مرضه دائماً على حال ومضى عليه سنة يكون في حكم الصحيح وتكون تصرفاته كتصرفات الصحيح ما لم يشتد مرضه ويتغير حاله ولكن لو اشتد مرضه وتغير حاله ومات بعد حاله اعتباراً من وقت التغير إلى الوفاة مرض الموت).

وجاء في الفتاوى الهندية الجزء الرابع ص176 إذا كان الغالب منه الموت كان مرض الموت، سواء أكان صاحب فراش أم لم يكن.

وفي حكم طلاق المريض مرض الموت لا نتعرض لأحكام تصرفات المريض مرض الموت في المعاملات المالية، إنما نبين مدى تأثير مرض الموت في الطلاق والميراث باعتباره من آثار الزواج.

إذا طلق المريض مرض الموت زوجته ومات وهو في مرضه فإن كان الطلاق رجعياً فالزوجة ترثه ما دامت في العدة لأنها لا تزال زوجه. أما إذا كان الطلاق بائناً فالأفضل أن لا ترث لأن الزوجة تبين بالطلاق البائن فلا ميراث.

إلا أن أكثر الفقهاء لاحظوا أن من يطلق زوجته بدون رضاها وهو مريض مرض الموت إنما يقصد بذلك التهرب من ميراثها لذلك سموه طلاق الفار وردوا عليه قصده وذلك بتوريثها منه رغم البينونة التي حصلت بالطلاق لأن إيقاعه الطلاق صحيح إنما قالوا بميراثها منه على خلاف فيما بينهم.

قال الظاهرية: طلاق المريض كطلاق الصحيح فإذا طلق الزوج زوجته ثم مات في مرضه فلا ترثه زوجته إن كان الطلاق بائناً.

ولدى الشافعية روايتان أصحها أن طلاق المريض مرض كطلاق الصحيح والرواية الثانية يعتبر المريض فيها فاراً وترث زوجته.

أما الأحناف: فقالوا ترث زوجة الفار ما دامت في العدة ولو كان الطلاق بائناً خلافاً للأصل.

وذهب الحنابلة: إلى أن الزوجة ترث زوجها ما دامت في العدة بدون خلاف بين جمهور الفقهاء لأن الزوج لا يرث زوجته إذا ماتت وهي في العدة إن كان طلاقه فار، واختلفوا فيما لو انتهت العدة هل ترث أم لا على روايتين - الصحيح من المذهب أنها ترثه ما دامت لم تتزوج.

وقال مالك: إن حق الزوجة في الميراث لا ينقطع ولو تزوجت قبل الموت لأن القصد الآثم مردود على صاحبه، وقد قصد حرمانها من الميراث فيرد عليه قصده وذلك بتوريثها كما لو لم يطلقها.

وذهب الجعفرية إلى أن زوجة المريض ترث زوجها ما دامت في العدة فإذا مضت العدة فإنها ترث أيضا ما لم تمضي سنة على طلاقها فحينئذ لا ترثه.

وخلاصة ما جاء في أراء الفقهاء: أن الرجل إذا تعسف في طلاق زوجته فطلقها في مرض موته اعتبر الشارع هذا فراراً من ميراث زوجته فرد عليه قصده بتوريثها منه.

وجاء في قرار لمحكمة النقض السورية - إذا كان الزوج الذي طلق زوجته طلاقاً بائناً صحيح الجسم حين ايقاعه الطلاق.. ترثه زوجته إن مات وهي في عدة الطلاق.

خطـــاب التغييـــر
خطاب جديد أم إعادة إنتاج للقديم؟

■ خلود الزغير
باحثة في جامعة السوربون الجديدة - باريس 3

لـو انطلقنا من المقدمة المعرفية التي تقول أن الخطـاب هو كل ما يحمل دلالة ما، لوجدنا أن عمليات التغيير والتبادل والتنافس والصراع هي الأغنى بحثياً لدراسة خطاباتها والسياقات التي تتكون فيها، وذلك لمعرفة ما إذا كانت القوى الجديدة التي تتبنى عملية الهدم للنظـم والقـوى القديمة بهـدف التغيير تنتج وتبنـي خطابات جديـدة، أم أنها تعيد إنتـاج الخطاب القديم للأنظمة والقوى السابقة؟

فالخطـاب هو سـاحة تنافـس تتنازعـه مصالح القـوى والاسـتراتيجيات المتصارعة أيضـاً، ولا يتأثر فقـط بالعوامـل الخارجيـة "السـياق" التـي تمارس فيهـا السـلطة لعبتهـا مـن خـلال إجـراءات المنـع والتضليل والإقصاء والقهر عبر المؤسسـات وخاصة في الأنظمة الاسـتبدادية، حيث تعمل السـلطة على تنظيم وهيكلة مجال الخطاب في سعيها نحو التحكم والضبـط بحيث يكون إنتـاج الخطاب مراقب ومنتقى ومنظّـم على حسـب تعبير فوكـو في كتابـه نظام الخطـاب. وبنفس الوقت هي عملية دفاع عن مصالح تعتمد إجـراءات تلاعبية تقوم بها مؤسسـات النظام أو مؤسسـات المعارضة عبر وسائل المنع، التضليل، المراقبة، الإقصـاء والانتقاء بهدف تقديم "الحقيقة" بالشكل الذي يخدم مصالح كل فريق.

لكـنّ فوكو نفسـه يرى أيضـاً أنّ الخطاب ليس فقـط مـا يظهـر ومـا يترجـم الصراعـات أو أنظمة السـيطرة، لكنه هو ما نصارع مـن أجله، وما نصارع به، وهو السـلطة التي نحاول الاستيلاء عليها (فوكو، نظـام الخطـاب، ص10). أي أن الخطـاب ليس فقط انعكاسـاً مباشراً للسـياقات الاقتصادية، الاجتماعية، السياسـية والمعرفية التي يتكـون ضمنها أو لصراع المصالح التي تتبنـاه، لكن يمكنه أن يكون غاية هذا الصراع وأداة فيه تسـاعد على حسـمه لصالح طرف معيـن، وهي مسـألة تعتمد على بنيـة "النص" فيه والمقاديـر المعرفيـة التـي يمتلكهـا كل خطاب في موازاة الآخر، كذلك مسـتوى التنظيم وتوزيع وإعادة إنتـاج هـذه المعرفة داخـل كل خطاب. فمـن امتلك الخطاب امتلك السلطة.

هذا يعني أنّه لفهم إستراتيجية الخطاب كنظام للمعرفة لا يكفي تحليل السـلطة الخارجية المُنتجة له "السـياق"، بل أيضـاً ما يتعلق بسـلطته الداخلية "النص" أي إجراءات التصنيف والتنظيم والتوزيع التي تـوزع الخطابات والنصـوص وفـق لتراتبيات تخضع لأنظمة المعرفة. فلا يكفي ل "قول" معين أن يمتلك انتظام خاص ليصبح "نصـاً"، بل يتطلب إضافة لذلك أن يصـدر عن، أو يعـود إلى قائل يقـع عليه الإجماع على أنه حجة. حينئذ يكون النص كلاماً مشـروعاً أي يمتلك مشـروعية "سـلطة". ففـي كل مجتمع هناك نظـام للمعرفة يقرر الخطابـات التي يمكن اعتبارها "نصـا" وتلك التي تحرم من هذه القيمة، كما أنّ ذلك يتغيـر مع الزمـن كونه محكوم بعـدة عوامل ثقافية ومعرفية وسياقات أيديولوجية وتاريخية.

بالتالي المعايير التي تميز بين إنتاج خطاب جديد أو إعـادة إنتاج لخطاب قديـم هو امتلاك هذا الخطاب أو ذاك للمقادير المعرفية والسلطوية ومدى حداثتها وقطعها مع ممارسـات المفاهيم السابقة التي يقوم عليها الخطاب الأول. سـواء على مسـتوى المفاهيم والمصطلحـات، النظريـة والأيديولوجيـة، الكثافـة ومسـتويات الرؤية، المستندات والأدلة، الأسس التي يقوم عليها، الشـعارات، التصـورات، العلاقة الفعلية بالواقـع والتحليل الملموس له. كذلك على مسـتوى الموضوعيـة والابتعاد عـن أحكام القيمـة والذاتوية في الرؤية للأحداث.

فمـن الطبيعـي مثلاً، أن يشـترك خطـاب نظام سابق مع خطاب تغيير وثورة بـ"المواضيع"، فالقضايا التي يتم تناولها في الخطابين قد تكون مشتركة، أما الغير طبيعي من المبدأ الثوري أن يشـتركان بالرؤية للواقع وأسـلوب التعاطي معه والوعي به واللغة. من الفقـر المعرفـي أن ينكمش خطاب التغيـير والثورة فـي موقع "رد الفعـل" على خطاب النظـام الاتهامي والترهيبـي والتضليلـي، بـدل أن يفـرض مصالحه بالثـورة والتغيير ويكتفي بدل ذلـك بخطاب دفاعي، تبريـري، إنشـائي، متناقـض وشـعبوي. أو أن يعيد الخطاب الجديد إنتاج ميكانيزمات السلطة والاستبداد والإقصـاء في خطاب مـن يثور عليـه، أو أن يهاجمه بنفـس لغتـه عبـر تحويلـه لمنحـل أخلاقيـاً بكونه "خصـم" وهـو منطق خطاب السـلطة التي تسـعى لترذيـل الخصـوم السياسـيين وتسـفيههم أخلاقياً لعجزها عن المقارعة بالحجة والمنطق والدليل.

إنّ مسـألة إنتاج خطاب جديد أعقد من اسـتبدال المصطلحات اللغوية والمفاهيم، إنها عملية ممارسة ووعي وبنـاء أثناء إنجـاز عملية التغيـير ذاتها. لذلك لاحظنا كيـف أنّ خطابات "ثوريـة" تبنّـت مصطلحات جديـدة تتعلـق بالديمقراطيـة والحريـة والتعدديـة والدولـة المدنيـة وتبـادل السـلطة والمواطنـة وحقـوق الإنسـان، لكنّ البعـض من هـؤلاء توقف عنـد المفاهيم ولم يصل للممارسـة لهـا، في دلالة على تغلـب الأيديولوجي / الشـعاراتي علـى الجانب السياسـي / العملي لدى هـذه الأحزاب والتكتلات من أقصـى اليسـار إلى أقصـى اليمين. بينمـا ارتد عنها قسـم آخر وبدأ بتحريفهـا وتأويلها حتـى قبل إنجاز الثـورة، فـي دلالة أخرى هنـا على عـدم أصالة مثل هكذا مبادئ في وعي وأيديولوجيا هذه التيارات.

يبقـى للتاريخ والبحث العلمـي أن يرصد ويحلل إمكانيـة كل تجربـة تغييـر على إنتاج خطـاب جديد يقطـع معرفياً مع الخطاب السـابق أو أن يعيد إنتاجه بمصطلحات جديدة، وذلك بقدر ما يتشارك أو يتباين معـه في الملامح العامة وأسـاليب الوعي وتأسـيس المجتمع بقوانينه وحرياته.

ماري عبده شقرا 1901 – 1987
مريـــانا مـــراش 1849 – 1819

■ ياسر مرزوق

يجمع بين الترجمتين اللتين حلتا ضيوفاً على زاويتنا اليوم الهم الأدبي والنسوي المشترك، رغم الفارق الزمني بينهما، ولما كانت المعلومات المتاحة عن الأديبة "ماري عبدو شقرا" شديدة الندرة فقد آثرنا جمعها مع الأديبة الرائدة "مريانا مراش" ويعود الفضل في المادة العلمية المتاحة عن ماري شقرا إلى موقع "حمص" الالكتروني..

ماري عبده شقرا

ولدت "ماري شقرا" في حي الحميدية أحد أحياء "حمص" القديمة عام 1901، وتلقت دراستَها الأولى في المدرسة الإنجيلية "بحمص" ثمّ انتقلت إلى لبنان والتحقت بمدرسة "الشويفات" ونالت شهادتها العالية، وأتقنت اللغتين الإنكليزية والفرنسية، عام 1921التقى بها الأديب والصحفي "نسيب شاهين" مؤسس جريدة "صدى سورية" وصاحب المؤلفات التالية "القلب المنسحق - ضحايا الجهل ووحوش الانسانية - فلسفة الحياة" وتمّ الزواج بينهما في عام /1929/، وهو أول من شجّعها وساعدها على متابعة العمل الصحفي.

أصدرت مجلة "دوحة الميماس" في شهر نيسان عام /1928/، وهي مجلة تُعنَى بالأدب والفنّ والاجتماع، وتخصصت بقضايا المرأة. ولم يخل عدد من أعداد المجلة من رأي واضح وصريح يدعو المرأة إلى التطور اجتماعياً وثقافياً عن طريق أفضل السبل التي تحفظ كرامتها وتصون عفافها وتدفعها إلى النجاح.

احتجبت مجلة "دوحة الميماس" في أيار /1929/، وكان مجموع أعدادها اثني عشر عدداً، وللأديبة "شقرا" كتاب مخطوط بعنوان "عثرات نهضوي" تحدثت فيه عن أهم القضايا التي تعيق تقدّم المرأة العربية، توفيت "ماري شقرا" عام /1987/ مخلفة تراثاً أدبياً وصحفياً هاماً يدل على أنها أولى الرائدات اللواتي حملن لواء حرية المرأة.

قال عنها الأديب "محمد غازي التدمري" عن هذه الأديبة والصحفية الحمصية في كتابه "من أعلام حمص":

في الوقت الذي كانت فيه المرأة حبيسة الجدران الصمّاء، مسخرة لخدمة الرجل ورعايته، وأي حديث يتناول حريتها ومساواتها مع الرجل يعد جريمة يحاسب عليها المجتمع، في مثل هذه الأجواء المهيمنة على الحياة الاجتماعية في عشرينات القرن العشرين كانت الأديبة الحمصية "ماري عبده شقرا" تمارس دورها الريادي على صفحات مجلتها الشهيرة "دوحة الميماس" التي تعتبر أول مجلة عربية مختصة بقضايا المرأة العامة، والأدب النسائي بشكل خاص.

كما ذكرها الأديب "يوسف عبد الأحد" في إحدى مقالاته المنشورة في جريدة "حمص": «أول سيدة من "حمص" أقدمت على إصدار مجلة نسائية عام /1928/، كما أنها أول سيدة حمصية دافعت عن حرية المرأة وبحثت القضايا التي تعيق تقدُّم المرأة العربية، وكانت تنشر مقالاتها في مجلتها "دوحة الميماس" وفي بعض الصحف العربية الأخرى».

كتبت "ماري" في افتتاحية العدد الأول من "دوحة الميماس" بعنوان "إلى الأرواح":

«إلى الروح التي ترفُّ في دوح الإخلاص والواجب، إلى الروح الجميلة التي تعشق العاصي وأهليه عشقاً مبرحاً. إلى الروح التعبة التي تهجر عالم الكفاح والنزاع إلى زاوية التفكير والسكينة لتستريحَ قليلاً على ضفة العاصي المنساب بهدوء ودلال بين الرياض والأحراج. إلى الروح التي تودّ الانعتاق من قيود العالم البالي.. أقدّم نبتة أفكاري لعلّها تنمو في حضن الصحافة الخصيب فيتفيّأ بظلالها القريب والغريب».

ماري عبده شقرا

مريانا مراش

وكتبت في افتتاحية العدد الثاني بعنوان "أيها العامل": «قلبكَ تعبٌ لأنه في القلب الإنساني، روحُكَ تأبى القساوة وتطلب المساواة والإخاء. على يديكَ أثرُ الغبار، وإنه لأثر خالد يشهدُ برفعة روحِكَ المتواضعة. إنه ليقول: هذه هي أيدي المجاهدين. إنه ليشير إلى العزة والإباء والكرم في روح العاملين. قصورُكَ مشيدة في القلوب العارفة بكَ وفي السماء فلا تيأس».

لقيتْ "دوحة الميماس" صدىً مستجاباً لدى كلِّ من وصلت إليه وأحبَّها الناس، وكتبَ عنها كثيرٌ من الأدباء والمفكرين مقالاتٍ مشجّعة زخرت بالإعجاب والتقدير لدوحة الميماس ولصاحبتها، فكان منهم المطران "أبيفانيوس زائد" (1890–1982) مطران "عكّار" وتوابعها الذي قال عنها: «هكذا الشجرة الباسقة العظيمة تبتدئ من نواة تستقرّ في الثرى، ثم تضرب جذورها في الأرض وفروعها في السماء، فتأتي إليها الأطيار، ويستظل الأحياء بأغصانها الوارفة، فعسى أن تصيرَ هذه المجلة الصغيرة إلى ما سُمّيت به، إلى دوحةٍ ميّاسة تتدلى منها ثمرات الأدب الصحيح وتعبق في جوانبها نسمات العلم الراقي والفنّ الجميل».

وحيّا الشاعر "ميخائيل بطرس" /1895–1976/ "ماري شقرا" بالأبيات التالية: "يا دوحةَ الأدبِ النضير سلامُ.. بسمتْ لكِ الأيامُ والأعوامُ.. لا زالَ نفحُكِ منعشاً آمالنا.. حتّى تزايلَ نفسَنا الآلامُ.. جَهلوا مكانة ربّةِ اللطفِ التي لا ترتقي إلا بها الأقوامُ.. حتى سفرتِ على رُبا العاصي البهيّ.. وبراحتيكِ العشقُ والإلهامُ.. تبغينَ للوطن الكريم معزّة.. حتى يخادنَه صفا وسلامُ".

مريانا مراش

وُلدت مريانا مراش في حلب عام 1849 لبيت أدبي مرموق. والدها فتح الله مرّاش المثقف الحلبي الكبير، وأخوها الأديب الشاعر "فرنسيس مراش" الذي درّسها اللغة العربية، ثمّ درست الفرنسية في مدرسة راهبات مار يوسف، وأتقنت فنون العربية من نحو وصرف وعروض على يد أبيها. كما درست الموسيقا فكانت عازفة بارعة.

لتنتقل فيما بعد إلى لبنان وتدخل المدرسة الإنجيلية لتتقن اللغة الإنكليزية، وتعود إلى حلب حيث أخذت تكتب في الصحف والمجلات فكتبت في جريدة "لسان الحال" وفي مجلّة "الجنان" التي كان يصدرها المعلّم بطرس البستاني.

ولعل الأثر الأكبر لمراش في التاريخ السوري كان صالونها الأدبي الذي يعتبر الأوّل من نوعه في الشرق، قبل أن تفتتح الأديبة ميّ زيادة صالونها الأدبي الذائع الصيت في مصر. ويبدو أنّ رحلتها إلى أوروبا ومشاهدتها للكثير من تلك الصالونات في الغرب كصالون مدام دي ستايل وغيرها.. شجّعها على إقامة هذا الصالون الذي أرسى دعائم الأدب الحديث في شرقنا العربي. وكان صالونها الأدبي يحوي في رحابه كبار الأدباء في مدينة حلب آنذاك مثل قسطاكي الحمصي، وجبرائيل الدلال، وكامل الغزّي وغيرهم..

قال عنها الأديب والمفكر "قسطاكي الحمصي": "كانت مريانا مليحة القدّ، رقيقة الشمائل، عذبة المنطق، فكهة الأخلاق طيّبة العشرة، تميل إلى المزاح. وكان منزلها مثابة الفضلاء وملتقى الظرفاء والنبهاء. وكان لنا عندها منزلة ترتدّ عنها أعين الحسّاد كليلة، لما كان بيننا وبين شقيقها عبد الله من المودّة الجزيلة". جمعت شعرها في ديوان سمّته "بنت فكر" تنوعت موضوعاته بين المدح والرثاء والإنسانيات بلغةٍ بسيطةٍ جزلة.

فعندما توفّي أخوها فرنسيس سنة 1873 رثته بحرارة بالغة قائلة:

ما لي أرى أعينَ الأزهار قد ذبلتْ
ما لي أرى الروض مكموداً وفي كَرَبٍ
ما لي أرى الوُرْقَ تنعى وهي نادبة
نعم لقد سابقَ الأحياءَ أجمعها
من فَقّه الناسَ في علم وفي أدبِ
أبدى من الفضل ضوءاً لا خُبوَّ له
وإنّه بحرُ عِلم لا قرارَ له
هذا الذي جابت الأقطار شهرتُه
خنساء صخرٍ بكته حينما نظرت
في لجّةِ الحزن نفسي ضاق مسكنها

عام 1875 تزوجت من السيد "حبيب الغضبان الحلبي" ورزقت منه بابنتها "أسماء" والدة الوزير والنائب الحلبي "فتح الله أسيون"، توفيت مراش في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1919 بعد صراعٍ مرير مع مرضٍ عصبي منهك.

الأنظمة لا تنهار اقتصادياً ..

الانهيار الاقتصادي لا يسقط إلا الشعوب

■ زيد الخوري

بدأ الرهان قبل عامين من بعض رجال الأعمال السوريين أن انهيار النظام إن لم يكن سياسيا فسيكون اقتصاديا، وأن السلطة إن لم تخضع لضغط التظاهرات فستسقط حين تهبط الليرة إلى نصف قيمتها وحدث ذلك بعد أقل من ثمانية أشهر حين انخفضت الليرة بساعات قليلة وأصبح الدولار في سوريا يعادل 100 ليرة لكن لم يسقط النظام حينها وعاودت الليرة ارتفاعها بعد فترة وجيزة وتراوح سعر الدولار بعدها بين 60 و80 ليرة للدولار الواحد مع أخذه منحى عام متزايد.

تبدأ القصة من فرضية هامة وهي أن الديكتاتوريات مكونة من أنظمة هشة، لكن هل يمكن لهذه الأنظمة أن تحكم شعوبا تفوقها؟ وإن كانت السلطات هي جزء من مجتمعاتها فما مدى قوة مجتمعات تولد سلطات بهذه الهشاشة؟

منطقيا الديكتاتوريات هي أنظمة هشة تولد شعوبا أكثر هشاشة بحيث تهبط هذه الشعوب تلقائيا إذا حاولت الإطاحة بأنظمتها، وهذا تماما ما حصل في سورية، وسنحاول أن نتناول أثر كل مؤشر من مؤشرات الانهيار الاقتصادي التي صفق لها الكثيرون، لكن قبل البدء لا بد من شرح فكرة مفادها أن السلطة في سوريا هي نتاج تحول من منهج دولة اشتراكية إلى منهج دولة مختلطة تتجه نحو الفكر الليبرالي وأن الثورة قامت أثناء مرحلة الانتقال نحو الرأسمالية. وفي معظم الدول التي اتبعت النهج الاشتراكي والتي انتقلت فيما بعد إلى النهج الرأسمالي كان هناك أحد طريقين، إما أن تسقط السلطة قبل الانتقال وبالتالي تنتقل الدولة إلى الليبرالية الاقتصادية والديمقراطية في آن واحد كما حدث (في ألمانيا الشرقية سابقا) أو أن تبقى السلطة القائمة وتقود عملية الانتقال إلى الليبرالية وهنا يظهر نوع جديد من الديكتاتورية وتظهر برجوازية السلطة حيث تجتمع السلطة والمال بيد قلة من المجتمع ويصبح من الصعب الإطاحة بالسلطة لدخولها في نسيج المجتمع الاقتصادي والسياسي وحتى الاجتماعي معا (و هذا ما حدث في روسيا على سبيل المثال وفي معظم الدول التي اتبعت النهج الاشتراكي) وهنا يكون على المجتمع التعامل مع السلطة ك (مافيا) وليس كنظام مهمته إدارة الدولة، وتصبح ممارسة السلطة مهنة مربحة لما يرافقها من مال صودر بفعل الانتقال الهمجي نحو الليبرالية.

أبرز معالم السقوط الاقتصادي وأشدها وطأة هي التضخم وهي الظاهرة التي تعني ارتفاع الأسعار بمعدل أكبر من ارتفاع الدخل وبالتالي انخفاض ما يمكن للمستهلك أن يحصل عليه بدخله، وتوصف حسب أحد حكماء الاقتصاد بأنها (ضريبة يدفعها الفقراء إلى الأغنياء)، فارتفاع القيم البيعية للسلع ينتقل من المنتج الأول الذي يرفع سعر منتجاته إلى البائع الأول الذي يرفع سعر بيع ما اشتراه من المنتج، ثم إلى البائع الثاني والثالث هكذا حتى تصل إلى المستهلك، وخلال السلسلة يمكن لكل جزء من السلسلة أن يقوم برفع السعر بما يلائم الارتفاع في المستوى العام للأسعار حتى تصل السلعة إلى المستهلك النهائي الذي يكون مضطرا إلى تحمل عبء التضخم كاملا خاصة في حال كونه من ذوي الدخل المحدود (موظف) وبالتالي لا يملك سلعة يرفع سعرها بما يناسب التضخم.

و هكذا مع كون السلطة هي الممسكة بزمام الإنتاج ستكون هي الرابحة من أي أثر تضخمي في البلاد مع عدم التزامها بتقديم أي مساعدات إلى مواطنيها حسب قواعد اقتصاد السوق الرأسمالي وسيكون الخاسر الأكبر هو الأفراد العاديين غير القادرين على إنتاج أي سلعة.

و من أهم أسباب التضخم في سورية انخفاض قيمة الليرة حيث ازدادت قيمة كل سلعة مستوردة أو كل سلعة محلية يدخل في إنتاجها مادة مستوردة ضعفا واحدا على الأقل، والسبب الثاني والبارز أيضا هو انخفاض الإنتاج حيث أشارت تقارير نشرتها الصحف الرسمية أن 70٪ من رجال الأعمال فروا خارج البلاد، مما يعكس أثرا على التضخم من وجه انخفاض الإنتاج وبالتالي يصبح الطلب كبيرا على عدد قليل من المنتجات، ومن جهة أخرى يعكس انخفاض الإنتاج مؤشرا مستقلا بحد ذاته من مؤشرات الانهيار الاقتصادي.

تكمن المعضلة في انخفاض الإنتاج بفعل هجرة رؤوس الأموال _ وهي الظاهرة التي تكافحها كافة الأمم _ أنها تؤدي بالدرجة الأولى إلى ارتفاع البطالة وزيادة نسب التسول وهو ما بات واضحا في المحافظات الكبرى، ثم انخفاض الصادرات مما ينعكس سلبا على قيمة العملة المحلية، وبالدرجة الأخيرة ينعكس على كامل منظومة قيم المجتمع ويزيد من هشاشته ويسرع ظهور كافة مؤشرات انهيار المجتمع.

كل ما يمكن بحثه من آثار اقتصادية لن نجد له أي أثر على الأنظمة بل سيكون أثره واضحا على الأفراد، والأثر الوحيد الذي يمكن إيجاده على السلطة نتيجة أي انهيار اقتصادي هو انخفاض شعبيتها وهو أثر لا قيمة له بالنسبة للديكتاتوريات. إلى كل من يراهن على انهيار النظام اقتصاديا أوقفوا رهانكم وحدها الشعوب تنهار اقتصاديا.

نكبات دمشق في العهد العثماني

■ بلال سلامة

إحدى معارك العثمانيين في الشام

بدأت قصة العهد العثماني المظلم في دمشق مع خروج السلطان سليم الأول بجيش من مائة وخمسين ألف مقاتل مسلح بأحدث أسلحة زمانه من بنادق ومدافع، كما خرج جيش المماليك من القاهرة والتقى مع جيش العثمانيين في معركة مرج دابق شمال حلب يوم 24 آب 1516، وبنتيجة المعركة حقق العثمانيون نصراً حاسماً فتح أمامهم أبواب بلاد الشام، فدخل السلطان حماه وحمص ثم دمشق يوم26 أيلول 1516، وكان من فاتحة أعماله أن أمر بترميم الجامع الأموي. وقد مكث السلطان سليم في دمشق قسطاً من الزمن ثم غادرها إلى مصر فملكها، ثم عاد إلى دمشق لتنظيم الشؤون الإدارية وأصبحت دمشق بموجب التقسيمات السلطانية مركز ولاية تشمل جنوب سوريا الكبرى وتضم سناجق نابلس والكرك وبيروت وصيدا وتدمر وطرابلس والقدس وصفد وغزة، وأقرّ جان بردي الغزالي والياً عليها، وكذلك أمر السلطان بتشييد التكية السليمانية وترميم حي الصالحية، اللذين لا يزالا ماثلين إلى اليوم، كأحد منجزات العثمانيين المعمارية المبكرة في سوريا، في عام 1571 تم الشروع ببناء مسجد درويش باشا في الشارع المستقيم ثم مسجد سنان باشا عام 1588 ويذكر أن حي الميدان كان قلب المدينة آنذاك، مع نهاية القرن السادس عشر كان عدد سكان المدينة حوالي 57، 000 نسمة وبلغ العدد خلال القرن السابع عشر حوالي 80، 000 نسمة.

في عام 1520 توفي السلطان سليم وخلفه ابنه سليمان القانوني فانتهز الغزالي الفرصة وأعلن استقلاله من الجامع الأموي وخلع على نفسه لقب "الملك الأشرف" فأرسل السلطان سليمان حملة عسكرية بقيادة وزيره فرحات باشا في تشرين الثاني 1520، واشتبك الطرفان في القابون يوم 27 كانون الثاني 1521، وهزم بنتيجة معركة القابون الغزالي وقتل معظم قواده وقطعت رأسه في القدم، ودمر ثلث دمشق وقراها وسُرّح كبار الموظفين الدمشقيين وأسندت مهامهم إلى أتراك، كما فصلت طرابلس عن ولاية دمشق وأصبحت ولاية قائمة بذاتها.

لم يكن استقرار الولاة من شيم العهد العثماني، وهكذا تعاقب على دمشق في السنين المائة والأربع والثمانين الأولى من حكم العثمانيين فيها ما لا يقل عن مائة ثلاثة وثلاثين والياً ولم يدم منهم في وظيفته مدة سنتين إلا ثلاثة وثلاثون، وبين عامي 1815 و1895 توالى 61 والي بمعدل والي في كل سنة، وكان الولاة دائمي النزاع مع الولايات المجاورة، فعلى سبيل المثال نشبت الحرب بين والي دمشق ووالي طرابلس الشام بين عامي 1664 و1667.

أما القرن السابع عشر فتميز بالركود وتقلصت الحركة العمرانية ولم يقم في ذلك القرن بناء يستحق الذكر إلا جامع العسالي بالقدم. وقد يفسر فترة الركود هذه الوضع الداخلي لأن الثورات تتابعت منذ عام 1517 (أي بعد سنة من الفتح) حيث قامت ثورة الإنكشارية (وكلمة إنكشارية تعني «الجيش الجديد» «يني تشري») فعاثوا فساداً في دمشق ونهبوها وأحرقوها وزاد الطين بلة انتشار الأوبئة والمجاعة في تلك السنة فكانت بالفعل سنة هائلة. وبعد ذلك قام المتسلمون بجباية الضرائب بأسلوبهم الشنيع فكانوا يجمعونها بدون أي حق وكان الهم الأوحد للولاة ملء جيوبهم، وكانوا يبدلون باستمرار بحيث لا تتجاوز ولاية الواحد منهم السنة الواحدة. وقسمت سورية إلى 3 ولايات (دمشق وحلب وصيدا) وكانت ولاية صيدا تضم بيروت وأحياناً ينتقل مركز الولاية إلى بيروت. وكانت هناك متصرفيات مستقلة مرتبطة مباشرة بالسلطان والصدارة العظمى ولاسيما دير الزور والقدس مع فلسطين. أما ولاية سوريا ومقرها دمشق فكانت تضم 3متصرفيات: حماه (وتضم أيضاً قضاء حمص) وحوران والكرك، كما تضم بالإضافة إلى ذلك عشرة أقضية منها النبك ودوما والزبداني والأقضية الأربعة التي سلخت من سوريا في عهد الانتداب الفرنسي وضمت إلى لبنان الكبير (وهي بعلبك والبقاع ـ ومركزها معلقة زحلة ـ وحاصبيا وراشيا) فكانت هذه المساحة الواسعة تتبع دمشق وكان والي دمشق باستمرار هو الذي يراقب أمراء لبنان الذين ينزعون دائماً إلى الاستقلال ولاسيما المعنيون في عهد فخر الدين الثاني. وقد جاولت الدولة استمالته بأن عينته هو أيضاً والياً للشام فترة من الزمن ثم قضت عليه. وفي أيام الشهابيين كان ولاة الشام هم الذين يراقبون باستمرار أمير لبنان ويقاومونه عند الاقتضاء. وعندما تولى أحمد باشا الجزار ولاية صيدا وبيروت وعكا ونقل مقر ولاية سورية إلى عكا مدة 5 سنوات وكان حكمه من أشنع الفترات التي مرت على هذا البلد، واشتهر بمقاومته لنابليون وانتصاره عليه في معركة جبل طابور. فخلال هذه الفترات لم يزدهر العمران في دمشق ولكن الحركة التجارية استمرت بشكل واسع جداً وفي مطلع القرن الثامن عشر اشتهرت الأسرة العظمية في ولاية الشام. قدم آل العظم من قونية وأقاموا فترة في حماه ثم انتقلوا إلى دمشق وتولوا ولاية متصرفية حماه وكان أول من اشتهر منهم اسماعيل باشا الذي بنى المدرسة القائمة بسوق الخياطين عام 1736 ثم تبعه سليمان وأقام الخان القائم في سوق مدحت باشا على الطريق المستقيم، ثم تبعه ابنه أسعد باشا فبنى عام 1749 الخان الرائع المعروف باسمه قصر العظم الذي أقيم على أنقاض قصر الأمير تنكز الذي كان قائماً قرب البزورية. وبعد ذلك أيضا جاء محمد باشا وهو الذي سقف سوق الحميدية بعد أن ردم الخندق الذي كان يحيط بالقلعة من جهتها الجنوبية وسقف قسمه الغربي الممتد من العصرونية إلى باب النصر وتبعه ابنه عبد الله فأقام عام 1759 المدرسة القائمة بعد الحريقة باتجاه قصر العظم. فكان لهذه الأسرة آثار رائعة.

واكتملت النكبات الدمشقية بالزلزال العظيم عام 1759 حيث ننقل ما ذكره الشيخ أحمد البديري الحلاق في كتابه "حوادث دمشق اليومية" لسنة 1172 هـ / 1759 م:

"وفي الزلزلة الأولى وقعت صخرة عظيمة في نهر القنوات فسدّت النهر، وانقطع الماء عن البلد أحد عشر يوماً، وبقيت قطّاع الأحجار يقطعون فيها أحد عشر يوماً، فصارت الناس في غمّين: غمّ الزلزلة وغمّ قلة الماء".

"وفي ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات. وقد صارت معها رجّة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن، ورمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشمالي جميعه من مدرسة الكلاسة وباب بريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق، والذي سلم من الوقوع تناثر من بعضه البعض، وقُتل خلق كثير خصوصاً في القرايا، ورحلت الخلائق للبساتين وللجبال والتُرب وإلى المرجة، ونصبوا بها وبالبراري الخيام ونامو بعيالهم وأولادهم، ومع ذلك لم تهدأ الزلزلة والرجفان لا ليلاً ولا نهاراً. ثم أمر عبد الله باشا الشتجي والي الشام وفقه الله تعالى منادياً ينادي بالناس أن يصوموا ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع إلى جامع المصلى، فإنه مشهور بإجابة الدعاء فيه، فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلى، وخرج حضرة الوزير معهم وجميع الأعيان والمفتي والقاضي، وخرجت العلماء وأهل الطرق والصوفية والنساء والأولاد، ولازموا الدعاء في المصلى ثلاثة أيام بضجيج وبكاء وخشوع كيوم عرفات، بل كموقف القيامة، فرحمهم أرحم الراحمين، وعاملهم باللطف والتخفيف، فصارت الأرض تختلج اختلاجاً خفيفاً، ولم تزل الناس في البساتين والبراري خائفة حتى نزل عليهم الثلج والمطر وصار الجليد إلى أن خفّت الزلزلة ورجعت الناس خائفين. "

وجد الشعب العربي نفسه تحت حكم عسكري معاد، وكانت سنوات الحرب عسيرة على الناس، ومدمرة للبلاد التي كانت مسرح عمليات الجيش الرابع العثماني، بقيادة أحمد جمال باشا، ولم يدّخر هذا وسيلة للتنكيل بالقوى والشخصيات الوطنية، أو الاعتداء على السكان ونهب ممتلكاتهم وأرزاقهم، وتسخيرهم في الأعمال الإجبارية. ولسنين طويلة، ظلت ذكريات أيام الحرب السود، محور أحاديث الناس، وأصبح «سفر برلك» (التجنيد والانتقال إلى خطوط قتال بعيدة) مرادفاً للظلم والجوع والمرض والمطاردة والنهب والخراب.

وقد عسكر الجيش الرابع في بلاد الشام، التي لم تكنْ مهيأة لذلك اقتصادياً، فقاسى سكانها الأمرّين من نزول هذا الجيش بين ظهرانيهم، ولتموينه صادرت السلطات المواد الغذائية والمواشي والمحاصيل واللوقود اللازم له، قطعت الأشجار، حتى المثمرة، ولأعمال السخرة سُحب الفلاحون من قراهم إلى خطوط الجبهة لحفر الخنادق وغيرها من الأعمال. فساءت أوضاع البلاد الاقتصادية، واختفت البضائع من الأسواق، وانتشرت أعمال السوق السوداء، وصولاً إلى المجاعة والأوبئة، وخلال أعوام الحرب الأربعة، هلك مئات الآلاف من الناس جوعاً ومرضاً في بلاد الشام والعراق وتم إعدام عشرات الوطنيين في دمشق وبيروت.

ولم تكن آخر النكبات الفكرية سوى سياسة التتريك التي فرضها السلطان عبد الحميد وأجبر جميع الولايات على أن تكون المراسلات الرسمية والتعليم باللغة التركية مما ساهم في توسيع الهوة بين العرب والأتراك، ورغم مناشدة العديد من العلماء للسلطان عبد الحميد للعدول عن الفكرة إلى درجة أن جمال الدين الأفغاني ذهب إلى أبعد من ذلك فطالب بـ "تعرب" الدولة العثمانية، و"تعرب" الأمة التركية، وكان يعتقد أنه "لا سبيل إلى تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها. والأمة العربية هي "عرب" قبل كل دين ومذهب. وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان بما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان، "فالمسلم أو المسيحي، واليهودي في مصر والشام والعراق، يحافظ كل منهم قبل كل شيء، على نسبته العربية فيقول (عربي) ثم يذكر جامعته الدينية"، مشيرا إلى أنه "ينبغي لكل أمة أن تتمسك بجامعتها القومية في صدور أبنائها، وأن ذلك لا ينافي الإسلام". إلا أن السلطان عبد الحميد ضرب بكل ذلك عرض الحائط وأصر على التتريك الذي شكل قطيعة تاريخية بين جيلين وبين قوميتين ولآخر الزمان.

لم يكن العهد العثماني مضيئاً كما يحلو لبعض المتدينين والمتحمسين تصويره، ولم تلق البلاد العربية وبالأخص دمشق التي بقي فيها العثمانيون أطول فترة إلا الفاقة والتخلف والظلام، ودمشق التي تنفض عنها اليوم غبار الطغيان لن تقبل بعد ذلك بمن يسومها المذلة والهوان.

حوار مع المهندس نزار صمادي

المنسق العام لمؤتمر تجمع قوى المعارضة (الغوطة الشرقية)

■ خاص سوريتنا | أجرت الحوار شام داود

تـرزح غوطـة دمشـق الشـرقية تحت وطأة حملة عسـكرية قاسـية منـذ ما يزيد عن الأربعة أشهر. انقطاع شبه تام لخدمات الحياة الأساسـية، ونزوح لأغلب السكان هو المشـهد المسـيطر في جميع بلدات ومدن الغوطـة. إلا أن مـا تبقـى من سـكان هذه المدن، وبالتعاون مع ناشطي الثورة وعناصر الجيـش الحـر أخذوا علـى عاتقهم تسـيير شـؤون المواطنين وتأمين كل ما يمكنهم تأمينه من مسـتلزمات الحياة، وشيئاً فشيئاً بدأت هذه الجهـود بالتنظيم والتوحد، جنباً إلى جنب مع الجهود السياسية والعسكرية.

وفي هذا السـياق، أعلن يـوم الأحد 27 كانـون الثانـي من عـام 2013 فـي الغوطة الشـرقية، وبحضور ما يقـارب المائتي ممثل عـن المناطق والجيش الحر عـن قيام التجمع الوطنـي لقوى الثـورة في الغوطة الشـرقية، ويعتبـر هذا التجمع الناطق الرسـمي باسـم القوى الثوريـة المنضوية ضمنه، وهو الهيئة السياسـية والإدارية الفاعلة حالياً في الغوطة الشرقية. وقد تم عقد المؤتمر التأسيسي في التاريـخ المذكور في مدينة دومـا وأعلن عن تشكيل التجمع وصدر البيان الختامي للمؤتمر محدداً ملامح التجمع وأساسيات عمله.

ويعتبـر هـذا لتجمع الناطق الرسـمي باسـم القوى الثورية المنطويـة ضمنه في الغوطـة الشـرقية وهـو الهيئة السياسـية والإدارية في الغوطة الشرقية.

قامـت جريـدة سـوريتنا بإجـراء لقاء مع المهنـدس نزار صمادي المنسـق العام للتجمع، مستوضحة منه عن ظروف وأسباب نشـوء التجمـع ومكوناتـه، ورؤيتـه للعمل السياسـي والميدانـي فـي ظـل الظـروف الحالية، وفي سوريا المستقبل.

| بداية، هذه المبادرة من المبادرات الأوائل في دمشـق ريفها من هـذا النوع، ما هي الظروف والأسـباب للدعوة لهذا المؤتمر وتأسيس هذا الكيان السياسي؟.

| | بعد مرور ما يقارب العامين على ثـورة الحق والحريـة والكرامة وبعد هول الجرائـم التي ترتكبهـا العصابة الحاكمة بحق الشعب السوري البطل لأنه جعل كل الشعب عدوه الرئيسي وبعد كل التجاذبات الدولية وتخلي المجتمع الدولي عن الشعب السـوري وكذلـك تخاذل الـدول الإقليمية والعربيـة وتقديـم مصالحه على حسـاب الشـعب السـوري وكذلك عجز العالم عن تقديم أي حل لوقف شلال الدم النازف في سـوريا هذا إذا أحسـنا الظن بأنه يريد أن يوقفه فعلا وكذلك لجوء بعض شخصيات المعارضـة عن حل سياسـي فـي الخارج عبـر بعض شـخصيات المعارضة عن حل سياسـي في الخارج عبر بعض شخصيات المعارضة عن حل سياسي في الخارج عبر بعض الـدول ورهنت نفسـها لتلك الدول وتركت الداخل يعاني ما يعانيه حتى أنهم جمعوا التبرعات لمساعدة أهلنا المهجرين فـي الداخل دون التنسـيق مع قوى الثورة الفاعلة في الداخل.

فبات من الضـروري أن يكون للثورة ممثلين حقيقيين لها وكذلك إيجاد مشروع توافقـي يعمـل علـى إسـقاط العصابـة الحاكمة بأسـلوب موحد يرتقي لمسـتوى تضحيـات شـعبنا البطـل لذلك تـم دعوة قوى الثـورة والثوار ويهيـئ لإدارة الأزمة في المـدن والقرى والبلـدات المحررة في المرحلـة الراهنة وذلك لقطع الطريق عن كل من تسول له نفسـه بالمتاجرة بدماء الشهداء واستقلال معاناة الناس.

| مـن هـي الجهـات والفعاليات المشـكلة لهذه الكيان (مع أماكن تواجدها)؟.

| | كل قـوى وفعاليـات الثـورة التي على إدارة شـؤون المدن والقرى والبلدات المحـررة بالإضافـة إلـى ممثليـن عـن الإدارات والمجالـس المحليـة والمدنيـة ومجالـس المـدن والناشـطين والعاملين فـي المجـال الخدمـي والطبـي والإغاثة وتنتشر في الغوطة الشرقية من أقصاها لأقصاها أكثر من 58 قرية وبلدة ومدينة.

| هـل هناك أي تمايز مذهبـي أو عرقي في تشكيل هذا التكتل؟.

| | كان هنالـك تمثيل للوطنين دون تمييز مذهبي أو عرقي.

| هل ستسعون لضم مناطق أخرى (محررة) من خارج الغوطة الشرقية؟.

| | التجمـع ضم أغلب المدن والقرى والبلـدات المحـررة في الغوطة الشـرقية والباب مازال مفتوحا أمام أي مدينة أو قرية حيـث يوجد فقط مدينتيـن لم تمثل لأنها لم تحرر بعد بشكل كامل

| هـل هنـاك مـن دعـم سياسـي لأي من الجهـات المعارضـة (الائتـلاف الوطني، المجلس الوطني..)، وفي حال وجوده كيف سيكون مؤثراً على القرار في المبادرة؟.

| | إننـا نمـد أيادينـا لكافـة قـوى المعارضـة المنحازة للثـورة والمعبرة عن أهدافها.

| كيـف ترون أن هذا الكيان يعبر عن الثورة سياسياً؟.

| | عندما يكون ممثلي هذا الكيان أو التجمع هم من الثوار والعاملين والفاعلين على الأرض إذن يعبر عن الثورة سياسياً.

| مـا الذي يجعـل من هـذه التجربة ناجحة ومقبولـة لدى الشـارع السـوري (المدني والعسـكري)؟. مـع العلـم ان بعـض المبادرات ذات الطابع الثقافي والسياسي تـم التعتيم عليهـا أو مضايقتها من قبل كتائب الجيش الحر وخصوصا في شـمال سوريا المحرر.

| | أغلـب الممثليـن فـي هـذا الكيـان هـم ممن شـاركوا بالثورة سـواء بالمظاهـرات أو العمـل الطبـي والإغاثي أو الخدمـي وهـم ممـن اختارهـم أهالي منطقتهم وقد تم التوافق غليهم من قبل المدنيين والعسكريين.

| مـا هي الصيغة التي سـتجمع المنضمون لهـذا الكيـان للتوافـق علـى العمـل السياسي؟.

| | من خـلال المؤتمرات في مختلف المناطق واللقاءات تم التوافق على شكل الكيـان الذي يجمـع كل قوى الثـورة وهو المجتمع الوطني لقوى الثورة في الغوطة الشرقية.

| عنـد التوافـق علـى التكتـل السياسـي وتسـميته، كيف تـرون الطريقة الأفضل لكسب التأييد الشعبي له؟

| | بمـا أن ممثلـي التجمع وهو ممن يعملون فـي خدمة المواطنيـن ويعملون علـى تخفيـف معانـاة النـاس ويقدمـون الخدمـات لهم فهم سـوف ينالـون التأييد الشعبي.

| هنـاك ضـرورة حتمية للتحـول للعمـل السياسـي والمدني لدى الشعب السوري، كيـف تـرون تطبيق هـذه المبـادرة في مناطق أخرى من سـوريا فـي ظل الحصار الأمني وآلة القمع المستمرة؟.

| | هـذه التجربـة سـوف تطبق في أغلب المناطق التي تم تحريرها.

| هـل سيشـكل هـذا التكتـل بديـلاً عن السـلطات المدنية مسـتقبلاً بعد سقوط النظـام، أم سـيقتصر فقط علـى الجانب السياسي من العمل؟.

| | سـيكون هـذا التجمـع هـو احـد المكونـات التـي سـتعمل علـى حمايـة المؤسسـات وتقديـم الخدمـات وأمـا أن يتحـول إلى العمـل السياسـي فقط فهذا متروك لكل ممثل في التجمع.

| فيمـا يخص إدارة الأزمـة، كيف تتعاملون مـع النقص في المـواد الإغاثية للمناطق المنكوبة في أغلب الريف الدمشـقي، وما هي الموارد المتاحة لذلك؟.

| | يتـم توزيع المـواد الإغاثية على الأسـر المهجرة المحتاجة أكثر والناس في هذه الأزمة تتكافل مع بعضها.

| في ظل سطوة السلاح لدى الكثيرين ممن يدّعون انتمائهم للجيش الحر، ويقومون بأعمال السـلب والنهب والخطف في كثير من المناطق، هل سـتكون كتائب الجيش الحر هي المعنية بمتابعة هذه القضايا أم سيتم تشكيل شرطة ثورية مدنية؟.

| | بدأ تشـكيل شرطة ثورية مدنية لحماية المنشآت العامة والخاصة ومعاقبة من يقوم بالسرقة والنهب والسلب.

| هل سـيكون الدسـتور والقانون السوري (الحالي) هو مصدر التشريع والاحتكام في الحيـاة المدنية في الفتـرة الحالية، وفي حـال القوانيـن التي كانت من مسـببات قيام الثورة كيف ستتعاملون معها؟.

| | لا لـن يكـون الدسـتور والقانون السـوري الحالـي هو المصدر التشـريعي لكـن مـن الممكـن العـودة لدسـتور الاستقلال.

| ما هي طبيعة العلاقة بين هذا الكيان السياسي وكتائب الجيش الحر المنتشرة في مناطق الغوطة الشرقية؟.

| | هناك علاقات جيدة لأنه يوجد ممثلين للكتائب في هذا التجمع وفد حضر المؤتمر ممثلين عن المجالس العسكرية الثورية في الغوطة الشرقية وفي دمشق وريفها.

| يتداول الكثير من الناشطين فيديوهات في أكثر من منطقة، تعلن وبشكل صريح انحياز بعض الكتائب لمنطق الجهاد الديني، ويرون في الثورة بأنها ثورة طائفة ضد طائفة أخرى، كيف ستتعاملون مع هذه القضية؟.

| | نعمل على تعزيز الوحدة الوطنية بين مكونات الشعب السوري العرقية والإثنية والطائفية والمذهبية وعدم حرف الثورة عن مسارها وأهدافها وجر البلاد إلى نزاعات محلية أو أهلية التي يسعى النظام الأسدي إليها بكل السبل.

| كيف ترون تشكيل جيش سوريا في المستقبل؟.

| | نعمل من خلال التنسيق ومكاتب الارتباط مع مختلف المجالس وكتائب الجيش الحر للمساهمة في توحيد التشكيلات العسكرية هي أساس وطني مستقل عن السياسة وتجاوزاتها، مهمته حماية الوطن والدفاع عن حدوده.

| سوريا للجميع، ولكل السوريين، كيف سيتم تجسيد هذا الشعار وترسيخه بشكل عملي، بعيداً عن ما يسمى بـ(طمأنة الأقليات)؟.

| | إننا نرى في التنوع الإثني والعرقي والطائفي عامل غنى وليس عامل انقسام وإننا كتجمع نقدم ميثاق شرف للعيش المشترك مع كافة مكونات الشعب السوري.

| سوريا وطن واحد، يجمع كل مكونات الشعب السوري العرقية والمذهبية، والكثير من السوريين باتوا بهاجس التقسيم، كيف ستعملون على حماية وحدة سوريا أرضاً وشعباً؟.

| | إننا نعمل على تعزيز الوحدة الوطنية ونعمل على حماية الاستقلال الوطني ووحدة البلاد أرضاً وشعباً وسوف نقف بوجه كل محاولات ودعوات التجزئة والتقسيم.

البيان الختامي للمؤتمر التأسيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)

نحن قوى وفعاليات الثورة في الغوطة الشرقية وبحضور ممثلين عن الإدارات والمجالس المحلية والمدنية ومجالس المدن وكافة قوى وفعاليات الثورة التي تعمل على ادارة شؤون المدن والقرى والبلدات المحررة.

وبعد أن عقدنا مؤتمرنا التأسيسي لقوى الثورة في الغوطة الشرقية بتاريخ 27 / 1 / 2013، نعلن عن تشكيل التجمع الوطني لقوى الثورة في الغوطة الشرقية. وبعد تثبيت عضوية الهيئة العامة التي تضم فعاليات قوى الثورة في مناطق الغوطة الشرقية، وانتخاب الأمانة العامة المؤلفة من 45 عضواً. والتي قد شكلت مكتبها التنفيذي المؤلف من 15 عضو التالية أسمائهم:

1 - المنسق العام: المهندس نزار الصمادي

2 - النائب الأول: منذر عبد العال

3 - النائب الثاني: محمود شاكر

4 - أمانة السر: خالد العمر

5 - المكتب المالي: المحاسب قانوني محمد فليطاني

6 - المكتب المالي: المهندس احمد خليل

7 - المكتب المالي: المهندس أدم كرنبة

8 - مدير مكتب الارتباط العسكري: المقدم أبو المعتصم

9 - علاقات عامة: حسام نمور

10 - عضو: نعمان الفوال

11 - عضو: أحمد الأحمد النووي

12 - عضو: تميم الفاروق

13 - عضو: عدنان عز الدين

14 - عضو:محمد أحمد قسومة

ويعتبر هذا لتجمع الناطق الرسمي باسم القوى الثورية المنطوية ضمنه في الغوطة الشرقية وهو الهيئة السياسية والإدارية في الغوطة الشرقية. وهو تجمع مستقل لا ينتمي لأي حزب أو تيار سياسي، ووفق المبادئ التالية:

أولاً: نحن جزء من ثورة الحق والحرية والكرامة، ونعتقد من خلال التجارب ونحن على أبواب الانتصار أن خطوتنا لا يمكن لها أن تثمر إلا من خلال وحدة التنسيق على مستوى القطر من اجل إسقاط العصابة الأسدية، ولهذا نحن نمد الأيادي لفعاليات وممثلي الثورة في كل أنحاء البلاد عامة وفي الريف الدمشقي خاصة من اجل تشكيل تجمع وطني لقوى الثورة السورية موحد يدير الصراع وشؤون الثورة ويصون مبادئ الثورة على امتداد الأرض السورية كافة.

ثانياً: نعلن الالتزام بأهداف ثورتنا وبالعمل مع الآخرين من أبناء شعبنا من أجل إقامة النظام التعددي الحر البديل لنظام التسلط والاستبداد ودولة العدالة والمساواة والقانون والمؤسسات والتي تعتبر الإسلام الحامل الأساسي لحضارتها وتاريخها وهو مصدر مبادئ عملها والقائم على عدم التمييز بين مواطنيها على أساس العرق أو الدين أو المذهب.

ثالثاً: العمل على حشد كل الطاقات المدنية والعسكرية والسياسية لدى الشعب الثائر من اجل إنجاز هدف الثورة في إسقاط العصابة الأسدية بكل رموزه ومرتكزاته، وتقديم من تلوثت أياديهم بالدماء والمال الحرام لقضاء نزيه عادل.

رابعاً: العمل من خلال التنسيق ومكاتب الارتباط مع مختلف مجالس وكتائب الجيش السوري الحر للمساهمة في بناء وتوحيد التشكيلات العسكرية على أساس وطني حديث مستقل عن السياسية وتجاذباتها. مهمته حماية الوطن والدفاع عن حدود.

خامساً: العمل السياسي والاجتماعي الدؤوب من أجل تعزيز الوحدة الوطنية بين كل مكونات الشعب السوري العرقية والإثنية والطائفية والمذهبية وعدم السماح بأية محاولة لحرف الثورة عن مسارها وأهدافها وجر البلاد إلى نزاعات محلية أو أهلية تسعى العصابة الأسدية إليها بكل السبل.

سادساً: العمل على حماية الاستقلال الوطني ووحدة البلاد أرضا وشعباً والوقوف بوجه كل محاولات ودعوات التجزئة والتقسيم.

سابعاً: نرحب بأي تحرك دولي من أجل وقف القتل والدمار الذي يتعرض له شعبنا يضمن تحقيق مبادئ وأهداف الثورة التي ذكرناه في متن هذا البيان ونرحب بأي مساعدات للشعب السوري المنكوب الغير المشروطة سياسيا أو اقتصاديا.

ثامناً: نؤكد للعالم أجمع أن أي حل سياسي لا يمكن له أن يمر وأن يكتب له النجاح إلا عبر تأييد الداخل له ونؤكد على ان الحل السياسي يكون مبنياً أولا على تنحي المجرم بشار الأسد عن السلطة ونقل السلطة للثوار وتسليم المجرمين من رموز العصابة الأسدية لمحاكم وطنية نزيهة فالشعب قالها سابقا " لا حوار مع القتلة والمجرمين "

تاسعاً: نؤكد على أن هذا التجمع يرى أن التنوع الإثني والعرقي والطائفي عامل غنى وليس عامل انقسام ويقدم ميثاق شرف للعيش المشترك مع كافة مكونات الشعب السوري.

كانت الغوطة الشامية ولا زالت قلعة من قلاع الوطن الكبرى ومنبعا للوطنية والشهامة والبطولات والاعتدال والتسامح فبزنود شبابها ونسائها إلى جانب اخوة لهم في سوريا أنجزوا الاستقلال الأول.

اليوم يسعى ثوار الغوطة وأبنائها مع أخوة لهم على امتداد البلاد لدحر الاحتلال الأسدي وانجاز الاستقلال السوري الثاني.

الرحمة والمغفرة لشهدائنا والحرية لأسرانا والشفاء لجرحانا.

ريف دمشق - الغوطة الشرقية - الواقع في 15 ربيع الأول 1434 الموافق لـ 27 كانون الأول 2013

وطننا اليوم يمر بمرحلة أقل ما يقال عنها إنها حاسمة وهي مرحلة تتطلب منا جميعاً أفعالاً لا أقوالاً. وفي ظل محاولات عديدة في مناطق متعددة لقوى مختلفة من المعارضة، نحن ننتظر من تجمع قوى الثورة في الغوطة أفعالاً تليق بحساسية المرحلة وبجسامة المهمات الملقاة على عاتقه، وذلك كي لا يبقى تأسيسه مجرد حبر على ورق، ولا تظل الشعارات والبيانات مجرد كلام لا يسمن ولا يغني من جوع.

الصور خاصة بسوريتنا من عدسة سام

ازدراء الأنوثة.. المرأة كإحدى أدوات التوحش وتفتيت المجتمع

استنهاض دور المحرضة والمقاتلة والقاتلة

■ آكاسيا العاصي

مع أن انخراط المرأة السورية في العمل المسلح ليس جديدا، إلا أن ما بثته قنوات النظام من تقارير مصورة عن تشكيل كتيبة عسكرية نسائية أطلق عليها "لبؤات الدفاع الوطني" أثارت الكثير من ردود الفعل التي إن كشفت عن شيء، فهي تكشف عن نظرة دونية للمرأة، مازال مجتمعنا يحتفظ بها ويعبر عنها بين فترة وأخرى. فالهجوم الذي طال نساء مليشيات النظام، ركز على تعهيرهن ونزع الصفات الأخلاقية عنهن، مع أن إعلان النظام عن تشكيل كتيبة نسائية سبقته عدة مقدمات أهمها ظهور فيديوهات عن تشكيل كتائب نسائية التحقت بالجيش الحر، في حمص ودير الزور وآخرها في النبك، بالإضافة إلى مقابلات مع امرأة قناصة في حلب تقاتل إلى جانب زوجها، وسيدة أخرى في دير الزور، قالت إنها تتنكر بزي رجال وتقاتل في صفوف الجيش الحر. تلك الفيديوهات، تجاهلها الناشطون المعارضون او قاربها بعضهم بمديح حذر، او بتخوف من أن يشكل ذلك ذريعة للنظام لتشديد الخناق على المرأة. وكان لافتا صمت المؤيدين تقريبا عن انخراط المرأة في العمل المسلح إلى جانب الجيش الحر، ليأتي الرد لاحقا في حملة إعلامية عن تشكيل (لبؤات الدفاع الوطني) بالتزامن مع الإعلان عن تشكيل (جيش الدفاع الوطني) والذي يعني تجنيد المدنيين لمساندة جيش النظام في حربه الضروس من اجل البقاء. معنى آخر مؤسسة التشبيح، واكبه بث فيديوهات تظهر نساء مسلحات على الحواجز في احد أحياء حمص.

حيال تلك المعطيات، فإن المعارض الذي صمت عن تسلح المرأة والتحاقها بالجيش الحر، لا يحق له تعهير المرأة (الشبيحة) إذا تسلحت للدفاع عن بقاء النظام. فكما يحق للمرأة (الحرة) الدفاع عن الثورة يحق للمرأة (الشبيحة) الدفاع عن النظام، ولكل منهما قناعته الخاصة. لكن هنا تجدر الإشارة إلى الفارق بين التحاق النساء بشكل فردي أو مجموعات صغيرة غير منظمة بالعمل المسلح، وبين مأسسته كتشكيلات مقاتلة. إذ لا يمكن المقارنة بين رد فعل على العنف، لا يشكل ظاهرة، وبين إنشاء تنظيمات من شأنها تشويه العلاقات في البنية الاجتماعية. ومع هذا فإن انتقاد تسلح المرأة لا تكون عبر الطعن بشرفها واتهامها بالعهر، وازدراء أنوثتها. بل النقد هنا ينصب بشكل أساسي على العنف الهمجي الذي استخدمه النظام، فدفع نساء الثورة المدنيات لحمل السلاح، وأيضا انتهاك النظام للمرأة (الأم - الأخت - الزوجة - الحبيبة) وزجها في أتون حرب "أهلية" يسعى إليها بكل جهده ويريدها أن تكون متوحشة إلى ابعد حد.

فإذا كان النظام يريد من ذلك بعث رسائل مفادها "ان النساء قبل الرجال سيدافعون عن بقاءه" بحسب ما ذكرته صفحات المؤيدين، فهو من جانب آخر، وجه ضربة قاسية للمرأة السورية المناضلة، ولتاريخها العريق في العمل الوطني والمجتمعي، إذ جعلها إحدى أدوات التوحش في صراعه العنيف لإخماد الثورة.

ومع أن المرأة السورية سبق وشاركت في العمل المسلح ضد إسرائيل سواء في صفوف المقاومة الوطنية العربية، أو من خلال الأحزاب السياسية السورية والعربية، وتواجدها أيضا في صفوف الشرطة والجيش النظامي. يمكن القول إنه دور مشرّف بوصفه انخراطاً في حماية الوطن والمجتمع، لكن انخراطها اليوم، وكما ظهرت في صور التقارير الإعلامية التي بثها النظام يبدو مختلفا وخطيرا، إذ يأتي في سياق تجييش المجتمع وتقليب بعضه على بعض، وتفتيت الوطن والمجتمع. ففي ظل المآسي التي يعيشها السوريون عموما بشقيهما المعارض والمؤيد، ووجود آلاف الأمهات الثكالى والأرامل، والمحزونين، من الطبيعي أن تجيش النفوس لا سيما نفوس الرجال وتنزع للثأر، كما تقتضي الطبيعة أن يكون للمرأة دورا في الحنو والعطف وتهدئة النفوس، لا أن تخالف طبيعتها وتتخذ دور المحرض بكل ما في أنوثتها من سطوة على الرجل، مع ضرورة التذكير بان هذا الدور السلبي لعبته المرأة عبر التاريخ، في حالات كانت علامات فارقة في القدرة على التحريض وإذكاء الفتن، لمهاراتها العاطفية وقدراتها الفائقة في تأجيج المشاعر.

ما نراه اليوم، بل منذ نحو عامين، في ممارسات النظام هو استنهاض الدور السلبي للمرأة المحرضة، بل للمرأة المقاتلة القاتلة المجرمة، بكل ما تحمله الكلمة من معاني تحقير الأنوثة والرجولة، بل والإنسانية، فعندما تقول المرأة أنها حملت السلاح لعدم وجود رجال، هي لا تحتقر الرجل المتخاذل عن حمل السلاح، بل اعتراف بدونيتها. وفي هذا تخريب للصورة المشرفة للمرأة السورية الحرة والتي ظهرت بكامل أنوثتها وإنسانيتها خلال الثورة في الميدان كمناضلة سياسية وكناشطة في الحراك الثوري السلمي، وكمسعفة ومغيثة وإعلامية ميدانية.. الخ. ولا يمكن تجاهل أن المرأة في درعا وريف دمشق ودمشق وحمص وحلب ودير الزور والسويداء.. الخ، حافظت على الطابع المدني والإنساني للثورة ونادراً ما ظهرت في الإعلام الثوري كمحرضة على القتل. وغالبية النماذج التي قدمها الإعلام الميداني الثوري كانت الأم الثكلى الصابرة الفخورة بشهادة أبنائها، والتي تشكو الظالم لله، في حين كانت خلال سنتين كانت وسائل الإعلام الرسمي والصفحات المؤيدة للنظام تقدم نموذج المرأة المحرضة على القتل والانتقام الأعمى، وفي أول مسيرات شعبية رعاها النظام خرجت سيدات المجتمع من محدثات النعمة يناشدن الجيش السوري بـ"الضرب بيد من حديد" وسحق (الفوار) بالبصطار!! وتطورت تلك المناشدات من الطلب إلى صيغة الأمر ومؤخرا إلى تشجيع حمل السلاح والمشاركة في القتال والقتل. كما يلاحظ أن اغلب الدعوات الموجهة للنظام في الصفحات المؤيدة لتنفيذ إعدامات ميدانية وتعذيب وخوزقة المعارضين تأتي من النساء. ولا ننسى أن أول من دعا إلى "قتل المعارضين أينما ثقفتموهم" منذ نحو عام ونصف كانت سيدة صاحبة مطعم، تحولت لاحقا إلى زعيم حزب سياسي "معارض" محسوب على النظام!! ومؤخرا أتحفتنا أستاذة جامعية بمناشدة للرئيس بتذلل وتوسل أن يضرب بيد من حديد!! فكتبت على صفحتها: "سيدي أنا خادمتك.. أتوسل إليك باسمي وباسم 23 مليون سوري أن تذهب إلى غرفتك وترتدي البدلة العسكرية.. أنا وكل محبيك مستعدون لتقبيل حذائك العسكري ووضعه على رؤوسنا.. نتوسل إليك بحق طولك وشبابك وعيناك الزرقاوتين التي يخشاهما الجميع أن تجعل جيشك المغوار منتشراً في شوارع سوريا.. ارحمنا يا سيدنا.. نركع عند أصابع قدميك متوسلين طالبين منك أن تضرب بيد من حديد.. أخرج أينما كنت سواء بسفينة كما يقولون أو بسقيفة كما يدعون أو من قصرك الشامخ كما عهدناك.. هيا اخرج ليخافون ويهربون.. تعبنا يا سيادة الرئيس.. فأنا لا أنام الليل من كثرة الكوابيس.. أرجوك أرجوك أرجوك"

لكن اللواتي يحملن السلاح الآن في كتيبة اللبؤات لسن من محدثات النعمة ولا من أساتذة الجامعات المستفيدات من عطاءات النظام، بل هن وبحسب الصور التي بثتها الأجهزة الأمنية من العاملات الفقيرات، الوافدات من القرى النائية المهمشة، ويسكن في العشوائيات المحيطة بالمدن، من اللواتي نجح النظام بتخويفهن من حكم إسلامي مزعوم سيقضي عليهن في حال سقوطه.. النساء اللواتي ظهرن يتدربن على حمل السلاح كن على مدى أربعين عاما أدوات النظام للتغلغل في مفاصل المجتمع ومؤسساته عبر وظائف ومهن صغيرة، والآن لا يتوانى عن استخدامهن في تدمير هذا المجتمع، مستغلا فقرهن وذعرهن وحزنهن على فقد أولادهن وأخوتهن وآبائهن من المنخرطين في الجيش وقوات الأمن والشبيحة.

لقد نجح النظام نجاحا منقطع النظير بتحويل فقراء مواليه من الرجال والنساء إلى وحوش يحركها الذعر والحقد، في أتون صراع من اجل بقاء نظام فاقد للشرعية. وهو لا يأكل هؤلاء الفقراء بقدر ما يخلف ندوبا في المجتمع السوري على المدى الطويل، احدها تشويه دور المرأة السورية التاريخي في مسيرة النضال الوطني.

عمل للفنان: عدنان راوي

عـــن الرجـــال

■ سمر يزبك

الجميلون.

الرجال.

النائمون على ضفة النهر، الذين ولدوا من بطون أمهات تشبه بطون أمهات القتلة.

القتلة الذين حملوا الجميلين المائة والأربعة عشر، وألقوا بهم في مجرى نهر ضحل. هل خرجوا من بطون الأمهات؟ تسأل النساء بقلق، عرافة النهر المستقرة في القاع.

التاركون وجوههم للسماء، وأصابعهم للطين. الذين تيمموا بالوحل، وغفوا في الأبدية.

الجميلون. السابحون في رسوم ملاحم عتيقة عن زمن البطولة الغادرة. المقضومة قلوبهم.

العراة، الذين لم تتغضن أجسادهم بعد، أصابع أقدامهم المتفسخة، الموحلة، ما زلت تحتفظ بنسغ الشباب. لكن أيديهم المقيدة وراء ظهورهم، كانت قد أخطأت موضع اللمس. أصابع الرجال للعمل، والالتفاف على الخصر. الأصابع، كيف تتشابك في العتمة مع الوحل والدم؟

هذا ما قالته العرافة لنساء حلب: لا تقتربن من عالم الظلمات السفلي، الأدراج موحلة، والطريق نهر جاف ذو رائحة عطنة. أشِحنَ النظر بعيداً عن الدرج، حتى لا يتحول الرجال إلى حجر.

وحده الحب كفيل بعودة العشاق من أوحالهم. هيا انبطحن واغرقن في الأعماق.

انظرن هنا. قالت العرافة للأجساد الملقاة على الحافة القذرة. إن الرجال كانوا رجالاً، ثم صاروا صوراً وحسرات تخرج على شكل قذى أحمر، ثم أضافت: إن وحوشاً سكنت بيننا، وغزت شوارعنا، ولوثت دمنا. وحوشٌ ربطت أكفّ الرجال الصلبة، اقتادتهم من عتمة الزنازين، ومشت بهم أرتالاً تحت الظلام. مشوا بهدوء، مكبلي الأيدي، ونزلوا من شاحنات مغبرة، ثم اصطفوا أمام الواجهة المقابلة للنهر. وربما يا سيداتي ـ تتابع العرافة ـ لم يحدث هذا، ربما تكوموا فوق بعضهم البعض، كأكياس بالية، وقُتلوا في زنازينهم، قبل أن يُرموا في النهر. ربما لم يشموا رائحته العطنة! لكنّ أن تتخيّلن الفرق، قبل أن تخترق الرصاصات رؤوسهم وأفخاذهم وتغتال رجولتهم. ثم إن هذه النقاط المنتشرة على جثثهم، ليست بذاراً للزرع، ولا بيوضاً للنطاف، بل مجرد ثقوب تدخل الجلد وتخرج من القلب، ثم تسترخي مع صمت النهر الموحل.

الجميلون: مائة جميل وجميل، لن يصغوا الليلة! سيرتاحون من عناء السمع، مسحوا الوحل عن وجناتهم، وقرروا تحميص أجسادهم وتلويحها بشمس بخيلة. سوف ينزلقون للعب بالماء، بعد أن تندلق محيطات العالم في أوردتهم، وسيجر النهر الصغير أوحال المدينة، وسيلعبون فيه، بعد تنظيفه، ثم يتناثرون في مياه التكون الأولى، مثل وحيدات الخلايا! الرجال ليسوا بحاجة لكنّ بعد الآن.

انتظرن يا صبايا.

الجسد يعود إلى تشكله الأول، من الصلصال وإليه. وعلى ضفة النهر يصير الجسد خبزاً.

لا عدالة على هذه الأرض. السعي نحوها جزء منها.

ليس صحيحاً أن القاتل ينجو بفعلته. العين بالعين، والسن بالسن.

تتابع العرافة:

هكذا قالت الحجارة يوماً، لأمّ الطين، بعد أن ابتلعتها حارات الذكورة.

وهكذا رددت من بعدها عاشقة لمحت خصر حبيبها بين أوحال النهر، ولم تتعرف على أصابعه،

قبل أن تغلق نافذة الخبز: مجزرة في حي بستان القصر. 114 جثة ملقاة في نهر قويق..

ثم تذهب، تحت ضوء الشموع لإعداد خبز، لمعتقلين جدد.

شـــموع دمشـــق

■ راشد حسين
شاعر فلسطيني استشهد في 2 / 2 / 1977

كما ينتهي كلّ حب كبيرٍ بدمعه
تنتهي..
تنتهي كل شمعه
ولكنني في دمشقَ
أكتبُ شعراً وحباً وحرباً
على ضوء شمعه
وأعرفُ..
بعض شموع الحروب تموتُ بسرعه
لكنني في دمشقَ
وشمعُ دمشقَ عزيزُ الدموع
وكل الشموع التي في دمشقَ تحبُّ
وتعرفُ كيفَ تحبُّ
وكيفَ تعيشُ
تقاتل نار الغُزاةِ وتسهر
وكيفَ تضيءُ لحبري طريقاً على صدر دفتر
وكيفَ تقاومُ زحفَ الحرائقِ فيها لأكتُب أكثر
ولكنني في دمشقَ
وأعرفُ أني بدون سلاحٍ
سوى قلم يا دمشقُ
إذا نسي الحبر فيه فلسطينَ، نادي دمشقْ.
نعم يا دمشقُ
أراكِ مسافرةً في دمائي
بمليون حبٍ.. بمليون شعله
رجالٌ
نساءٌ.. وأجملُ طفلٍ وأجملُ طفله
جميعهُم يغسلونَ دمائي
أنا العربي الذي أتعَبَتْهُ المذلة
جميعهُم يغسلونَ دمائي
بأجمل ضوءٍ
وأبسَطِ حبٍ
وأطهر قلبٍ
فماذا أقولُ لهم يا دمشق بهذي القصائد؟
دمائي سيول من الحبِّ
كيف أوزعُ حبي
سوى في الجرائد؟
وداعاً دمشقُ
شموعُكِ رَغمَ الحرائقِ
بل في الحرائق، أصبحنَ أكثر
وأصبحن أروعَ ضوءاً
وأكثرَ صبراً
على الحب والشعرِ والحربِ
أصبحنَ اكبر
نعم يا دمشقُ
سيزدادُ فيك ضياء جميع الشموع الكبيره
وتكبُرُ كل الشموعِ الصغيره
وكل شموعكِ أكبرُ منّي..
ولكنَ حبي كبير، وإن كانَ حبكِ أكبر.
ترى كيفَ أيامَ حربك.. أيام حبكِ
حتى الحجارة الّفنَ شعراً وحباً
وأصبحنَ يقرأنَ كتباً
وحتى المرارةُ صارت كقطعةِ سكّر.

نعم يا دمشق
شموعكِ تجعلُ حتى المرارةِ سكّرْ.
وداعاً دمشقُ
أحبكِ أماً
أحبكِ أختاً
أحبكِ طفلا، أحبكِ طفله
أحبك شعراً يذيبُ جميعَ الشفاه ليطبَعَ قُبلَه
ويصهر كل اللغاتِ
ليكتُبَ في وصف حبك جمله
نعم يا دمشقُ
أحبكِ يا أجمل الحبِّ لكنْ
أنا فيكِ صرتُ أعيشُ بسرعه
وبعض الشموعِ تموتُ من الحبِّ
تبقي من الحبِّ دمعه
وبعض الشموع تسافرُ
لكن تظلُ دمشقُ
وتكبُرُ كل شموعِ دمشقَ
وداعاً
وداعاً دمشقُ
إلهي
كيفَ خلقتَ جمال دمشقَ
نضال دمشقَ - وحب دمشقْ

عمل للفنان منير الشعراني

ممـــانعٌ ومقـــاوم

■ هالة النجاري

ممانعٌ ومقـاوم
لصراخ نسائنا وأطفالنا سامع
هو ذاكَ الذي بأرواحنا يقاسم
تعدد القتلُ لديه والجرائم
ليس قاتلٌ فحسب.. بل إنه في المجازرِ مساهم
يجلسُ على طاولةٍ مستديرة وبأرضنا يساوم
يقطعُ ويدمرُ و يناثر الأشلاء
هل هو الجزار؟؟
أم يحسبُ أنه يقاتلُ التتار
يدرسُ إحداثيات الصواريخ ويخططُ في أي بقعةٍ سيكون الدمار
هل ستسقطُ على رأسِ الطفلِ كضربة المسمار
أم أنها فقط ستودي بالأرض للانهيار
هل سيموت بها الأطفال أم الكبار
أيستطيع بها قطفَ الثمار
ويغلق أفواه الحريةِ إلى اللا استمرار
وماذا هو فاعل؟؟
وماذا نحن سنقول كمشاعل؟؟
عذراً منك يا سورية
فهو ليس إلا قاتلٌ بوحشية
عذراً منك يا سورية
فهو ابن بلدٍ يدمرُ ويكسرُ بغير إنسانية
عذراً منك
فنحنُ اليوم كتب على جباهنا ان نموت بهمجية
لماذا نحن..؟؟
صرخ الطفل، ضاع الطفل، وبدأت القضية
بالأمس كان يمسك ألوانه الزهرية
ويرسمُ على لوحته الصغيرة إشكالاً سحرية
بالأمس كان يلعبُ في حديقة الأزبكية
ويغني بالشوارع الدمشيقة
بالأمس كان مع يصلي بجوامع الإسلام والمسيحية
يرقص فرحاً بين الأزقة
بالأمس كان طفلاً وكان هدية
كان يمسك ألعابه ويرميها بالسماء ثم يلتقطها بحنية
واليوم
أصبح ضحية
وذنبه إنه ابن شعبٍ طالب بالحرية
أما أمه الصبية
تصرخ داخل الدار سلمية.. سلمية.. قتل بالسلمية
قتلوه.. ابني الصغير و اتهم بالسلفية
سرقوا مني الأرض ولكن تركوا الهوية
أين انتم يا أهل الحمية؟؟
يتهمُ ويقتلُ ويدمرُ ويذبحُ ويقولُ فينا طائفية
أين زوجي الذي اتُهم بالإرهابية
أهازيج حورية
تصرخ بروحها القوية
أين وأين وأين.؟؟
أين أنت أيها الطاغية
أتحسب أنك تقتل فينا الحبَ والشعرَ والقافية
أتحسب أننا سنقعُ في الهاوية
لا تحلم أيها المقاوم
فكلنا أبناء الوطن سواسية.. نموت لأجل كرامتنا..
والنفس لا ترضى المذلة أو الرجعية

الشيخ.. والشعب

■ منير الريس

من منا لا يحلم بيوم نعود فيها إلى شوارعنا وأحيائنا لنعيش فيها كما اعتدنا.. وأكثر؟

من منا لا يرغب بالوصول إلى مخرج صريح للنفق العميق الذي دخلنا فيه..ً وأكثر؟

من من الجماهير العريضة سعيدة بالحال الذي وصلنا إليه ولا تنتظر حلاً.. وأكثر؟

وهل هناك من لديه شبيه نهايةٍ لهذه الأزمة، دون تقديم أقل التنازلات، أو أكثر؟

حقيقةً نجد التصريح الأخير للشيخ معاذ الخطيب، رئيس الائتلاف الوطني السوري المعارض، غريباً بعض الشيء عما اعتدناه في تصريحات وكلمات أقطاب المعارضة الخارجية منها والداخلية عبر أمد الثورة السورية المجيدة.

ليست الغرابة استنكاراً أو استهجاناً لهذا التصريح، بل نجد عبر استطلاع لآراء الآلاف من المواطنين السوريين عبر غرف الدردشة والمجموعات الالكترونية استحساناً عظيماً لهذه الفكرة، بل وإعجاباً بالرجل الوحيد الذي تجرأ على الخروج عن النص الذي اعتادت أن تكتبه أقلام الأقاليم التي تأبى وأن تترك الثورة لتقطف ثمارها بنفسها.

نعم، لقد عمل الشيخ معاذ الخطيب بما لم يعمل به جميع من سبقوه قبلاً، فرصد رأي الشارع، تحاور مع مختلف الفئات الفاعلة وغير الفاعلة في الثورة السورية، وضع مصلحة الوطن والشعب نصب عينيه، وانطلق مما يفرضه الواقع ويستقرئه الوعي رامياً خلف ظهره مهاترات جميع السياسيين الحمقى الذين يجيدون رصف الكلمات وإطلاق الفتاوى التي تتماشى مع مصلحتهم الشخصية وتتلاقى مع أجندة الممولين الأشد حمقاً منهم، العاجزين عن استيعاب فكرة الوطنية الخالصة التي يعمل على نهجها الشيخ معاذ الخطيب.

بالتأكيد هي ليست مقالة مأجورة لصالح رئيس الائتلاف كما سيذهب بعضهم بالتأكيد، وهو بالتأكيد لم يسمع باسمي من قبل، ولكن لا أعتقد أن أي وطني خالص ذي بصيرة ووعي يستطيع انكار أهمية الفكرة التي كان الشيخ معاذ أول من يطلقها عكس التيار (المأجور) الذي اعتاد التغريد خارج سرب الجماهير والثوار على حدٍ سواء.

ليس التفاوض خطأً على الإطلاق، بل هو بلا شك الحل الأمثل والأجدر بالدراسة والنقاش، وإن كنا سنختلف حول تعريف مفهومي الحوار والتفاوض، فنحن نعطي المجال واسعاً لهدر أنهار دم جديدة، وسيول دمع وفيرة تذرفها عيون السوريات الثكالىً. فليس هذا وقت التنظير والتفلسف.. الواقع على الأرض السورية واضح لكل ذي عين، وهو على الشكل التالي:

1. لا الجيش الحر، ولا قوات النظام لقادرين على حسم المعركة على الأرض، حيث بات من الواضح أن كلا الطرفين استنفذ كامل قوته، ولم يعد قادراً على بذل المزيد. وإن كانت بعض القوى الدولية قد قررت وقف مد الثوار بالسلاح والذخيرة، فإن روسيا تعلن دائماً عن دعمها المطلق للنظام، وبالتالي فالإمداد اللوجستي مستمر كما هو بما يتعلق بقوات الأسد، إن لم يكن أفضل، في حين ينحسر بالنسبة للثوار تدريجياً، إن لم يكن أسوأ.

2. إذا رصدنا آراء الشارع السوري عموماً، لوجدنا رغبةً عارمة لدى الغالبية الساحقة بالوصول إلى حل جذري ونهائي، ومهما تكن التكاليف. وهذا بالتأكيد يشتمل على احتمالات التفاوض والتحاور مع بعض أركان النظام، ولكل متعام على الحقيقة أقول بأن التفاوضً هو نقطة قوة وارتقاء وليس نقطة ضعف وتنازل، ومن يعتقد بأن أحد على الأرض لقادر على إعطاء جدول زمني وتكتيكي للمنتصر - أياً كان - في هذه الحرب، فهو واهم بلا شك.

3. اعتاد مجلس الدمى على التصريحات، هو في الحقيقة ماهر جداً في إلقاء الخطابات مما يشي بتخرج تلاميذ نجباء من مدرسة البعث التي لم تفعل شيئاً طوال سني حياتها سوى رسم الشعارات. وبعد التصريح الأخير (الحاد) للمجلس الوطني الذي يعتبر تصريح الخطيب شخصي ولا يمثل المجلس أو الثورة، يقول غالبية السوريين وبلهجة حادة: تصريح المجلس الوطني شخصي ولا يمثل السوريين. فكفاكم حديثاً بلساننا ومتاجرة بدمائنا. وإنتم كنتم قادرين على تحقيق نتيجةٍ أفضل مما سيأتي به التفاوض مع النظام فلماذا عجزتم عن الإتيان بها إلى الآن؟

كان يتوقع الشيخ معاذ وبكل تأكيد الحملة الجهنمية التي سيشنها متمولوا الثورة عليه، بل هم ينتظرون منه تصريحاً كهذا منذ زمن حتى يبدأوا بدق الإسفين في مركب قيادته للائتلاف، والتشكيك بقدرته على تمثيل جموع السوريين في الثورة. وطالما أنه ليس هناك أي شك بوطنية الشيخ معاذ ورغبته الأكيدة بمساعدة الشعب السوري والوصول به - بكافة أطيافه - إلى برٍ السكينة، فإنني أتجرأ وأطلب منه أن يتمسك بشخصنة تصريحاته وموقفه، فهو الموقف الذي يقف الكثير من السوريين وراءه ويدعمونه، وهو الممثل الحقيقي لآمال وتطلعات النسبة الغالبة من الشعب في الوصول إلى صيغة نهائية لما يمكن أن تكون عليه سوريا ضمن الأمد القريب والمتوسط للثورة السورية.

المجلس الوطني يمثل نفسه، هذه الحقيقة ليست جديدة وندركها منذ زمن، أما الائتلاف، فإن خرج بتصريح مماثل لتصريح المجلس الوطني، فإنني أتوسل من الشيخ الخطيب التنصل من كل ما يمت للائتلاف بصلة، والانطلاق منفرداً -أو مع القوى التي تتلاقى مع رؤيته - في السير ضمن هذه الرؤية، لأنه يعلم أنه يسير مدعوماً برأي أهم من يؤخذ رأيه فيما يتعلق بمسار الثورة، ألا وهو الشعب السوري بكل أطيافه وفئاته.

الشيخ معاذ الخطيب يمثلني، وهو الوحيد الذي استطاع التكلم بلسان المواطن السوري المكلوم في كل يوم وفي كل لحظة، وأتمنى أن يحصد الدعم الشعبي الكاف لترى مبادرته النور. فمبادرة التفاوض هي الوحيدة التي قد تثمر في نهاية المطاف، بعد أن دخلنا - ومنذ زمن - مرحلة تذري كافة الحلول التي كانت واردة فيما سبق، وبعد أن أصبح شبح الحرب الأهلية جاثماً بكل ثقله على المشهد السوري الراهن.

القصيدة الكوردية

■ علاء الدين عبد المولى

للكورديّ الحالم بضعُ جبالٍ تدخل عرس حوارٍ من ضوءٍ
يقطف من أشجار الصّمتِ عروساً خجلى تلبسُ قمصانَ القمرِ الريّان
يهزّ لها غصن اللؤلؤ بين يديها
يسّاقطُ وقت مغيبٍ منثورٍ بين وريقات خريفٍ يأخذ روحَ الأرض إلى أجمل ذكرى
عرسٌ يلتمّ على رقصته ربّ الشّمس منيراً عالمه الأعلى
يحملُ من فيض هداياهُ حنين الجسدِ الهائم
خلف غزالاتٍ نوّرنَ حقولَ النّسرينْ
قاربنَ رؤوسَ الأشجارِ الزّرقاءِ
وأحنينَ قرونَ الشبقِ إلى عشبِ الطّينْ
طوّفَ في الأرضِ العشّاقُ
وحينَ انعطفوا نحو الشّرق
تعالت نهداتُ خريفٍ كوردستانيّ الصّمتِ
مضيءٍ بين نجومٍ تلبسُ خلخالاً
رنَ بأفياءِ الحلمِ
فأعطى جبلاً في المغربِ يعلو خلف قميص البنتِ السمراءِ
معلّمةِ الموسيقى والأصداءِ
وقال لها كوني زهرةَ عرسٍ قادمْ
نبتت فوق جديلتها بضعُ عصافيرَ
تردّ عن الأطفالِ الحربَ
وتمتدّ إلى جفناتِ قرى هائمةٍ خلف خطى الماعزِ والشعراءْ

* * *

البنتُ السمراءُ تعلّمني جرساً يتدلّى من عنقِ النّهرِ
فأبدأ بالتلويح لنهديها تتبعني حتى أول بيتٍ مشلوحٍ
تحت نداء الشمسْ
البنتُ الأجملُ من ذاكرتي
تحفر في دفترها وطناً تدعوني لزيارته
حين تحطّ المذبحةُ هراوتها تحت الشجرةْ
وأقول لها سوف أزورُ ضفائرها
بعد سقوط الرّعب عن الأحصنةِ العجفاءْ
وهناك سنعملُ أعمالاً زرقاءَ زرقاءَ زرقاءْ
تخطف قلبَ اللوز
تحيكُ عباءاتٍ للأشجار
تنقّحُ ديوانَ التّربةِ من حيواناتٍ نافقةٍ
ونعيدُ الثورَ إلى ثورته
والحبَّ إلى طاحونته الخرساءْ
ونعيدُ كتاب الشمس إلى عشّاق الجبل الصّاعد في أرواحِ غيومْ
يا بنتَ الشرق شمالاً وجنوبَ القلبِ
أحبكِ خابيةً تخدشُ فجرَ النّبعِ
وتملأ قلبي أقواس حنين
هل آنستِ على مطلعِ قلبي غيرَ الحنطةِ غارقةً في موسيقاكِ؟
أما أبصرتِ دروباً ذاهبةً بين جلابيب الرّقص الحمراءْ؟
هل ناديتِ وراء مآذنِ قريتكِ الشاعرَ يتلو جزءاً من سورةِ كوردستانَ
فجاءَ يضيفُ إلى اللّيلِ نجوماً تتلألأُ في أذنيكِ؟
أحبكِ صوتاً أوسعَ من وادي الماءْ
يعزفهُ جبلٌ يرفعهُ قمرٌ يحضنهُ ربّ أجملُ من أربابِ الحربِ
وحفّاري قبرِ الأجدادِ مع الأبناءْ

* * *

للكورديّ حفاوتهُ البيضاءُ بزائرهِ
يرسل قبل يديهِ رحيقَ الفرحِ المضيافِ
يرسم حولكَ قبل مجيئكَ هالاتِ الحبّ
ويحضنُ فيكَ صداكَ قبيل الصّوتِ الحافي
الكورديّ رأيتُ قصائده تتمشّى بين حقول تأكلُ من رجليهِ
وتشربُ من عينيهِ الدّمعَ
وتتركه يغرورقُ في دهشتهِ
حتى إن أكملها أخرجتِ الأقمارَ على أطرافِ الزّرعِ
وعبّأتِ الأكياسَ سماءً خلف سماءْ
وأكلتُ مع الكورديّ رغيفاً وخريفاً
وشربتُ الشّايَ المثقلةَ بألف حكايةْ
حدّثني عن ماضيه الآتي
مستقبلهِ المذعور الدّاشر خلفَ شظايا الشّهداءْ
لكنْ لم ينسَ الضّحكةَ تخرجُ من بئر مآسيهِ صافيةً
لم ينسَ غناءَ أناشيد الجدّ العاشرِ
لم ينس حقائب أحلام خبّأها تحتَ سريرِ الأحفادْ
قالَ تعالَ انظرْ كيفَ تذوبُ الشّمسُ هنا على أذيال فساتين العذراواتِ
المنحوتاتِ من اللؤلؤ في نشوتهِ
وتعالَ نريكَ حدودَ مباهجنا
هل تبصر ذاكَ الجبلَ الأبعدَ؟ هذا في ذروته سوف نضيءُ
كؤوسَ نبيذٍ تلهبُ فرسانَ الليلِ
ومن تربتهِ نعجنُ خبزاً كرديّ النّكهةِ
نطعمه للأفق الميّالِ إلينا
ونحفّ خصورَ النسوة بالباقي من ماء الزّهرِ
تعالَ إلى هضباتِ الموسيقى
تبصرْ أخواتِ الوردِ الكردِ الجمعِ الفردِ الصّمدِ
يحلّقنَ رفوف بلابل بين شهيق نسيمِ
تبصرْ أيضاً كيف تغيّرُ رائحة الموسيقى أنفاسَ العرسانْ
تبصرْ كيف تضيف الموسيقى بعضَ إلهٍ في قلب الإنسانْ.

* * *

ورأيت كذلكَ جسراً في آخر ما يمكن أن يبلغه جوّالٌ هيمانْ
ورأيتُ غيوماً تتحرك فوق رؤوس النّسوةِ
ومناديل تعوم على بحرة عطرٍ
وخصوراً حمّالاتِ لجرار ينابيعٍ
رأيتُ ينابيعَ تفجّرُ بين أصابعهنّ
سمعتُ رنينَ الحلقِ الأبيضِ يلقي في الأرضِ صدى
فيحرّكُ ذاكرة البستانْ
وسمعتُ بقلبي المغمض آياتٍ تتمايلُ خلف الجدرانْ
فشهدتُ بأنّ هنا أوّلَ ما خلقت راء الرحمنْ.

* * *

الكورديّ صديقي
من قبل مجيءِ السّلطانِ
وبعد سقوطِ السّلطانْ
نحنُ على سفحِ مشتركٍ نرفع قرن الشمسِ إلى مخدعه
نشعل في آذارَ نجوم النّوروزِ
ونرقص حول النّيرانْ
النارُ الأولى الأولى
تحرقُ أشواكَ الشكّ
وتومضُ ملءَ بيوت الإيمانْ
الكورديّ أخي
وأصابعه فوق الأوتار تؤسس لي بيتاً للروح
وتفتح باباً لا بوّابَ عليهِ ولا حرّاسْ
الكورديّ يضمّ الطّنبورَ الحنّانَ كعاشقةٍ لا حدّ يحدّ لياليها
لا سور يسوّرها حين ترنّ تئنّ تحنّ تجنّ تمنّ على قزحِ الحبِ بكلِ الأقواسْ
يبني من إيقاع أصابعه أحلاماً كنتُ حلمت بها من قبلُ
يعمّر " نهاوند " ويسكن فيها ثانيةً
يستحضر " زرياب " وكأس الغسق الطّافح في كرمنشاهْ
الكورديّ أخي.. وأنا والكورديّ نسيلُ على وترٍ أوّاهْ

* * *

للكورديّ نبوءةُ وقتٍ يأتي
وله بيتي حتى لو ضاق على وردته بيتي
للكورديّ سماءٌ في قلب سمائي
وله ماءٌ ممزوجٌ في جوهر مائي
هاتِ إذاً هذا البزقَ الباذخَ
نرمي فيه بقايانا ونفوحُ روائحَ شرق
يجمعنا في قمرٍ علّقناه على بابِ الغابةِ
هاتِ الغابةَ من جيب قميصكَ يا كورديُّ
وهاتِ مع الغابةِ غزلانَ الزرقةِ
هاتِ القربانَ الأسمى نرفعه في الصبحِ أمام الشمسِ الشّمْساءِ
هات عصيرَ اللوز رحاقَ العنبِ وحبرَ الشعراءِ
لندوّن فوق يديّ وفوق يديكَ جميعَ الأسماءِ

حتمية السلام

■ نورس مجيد

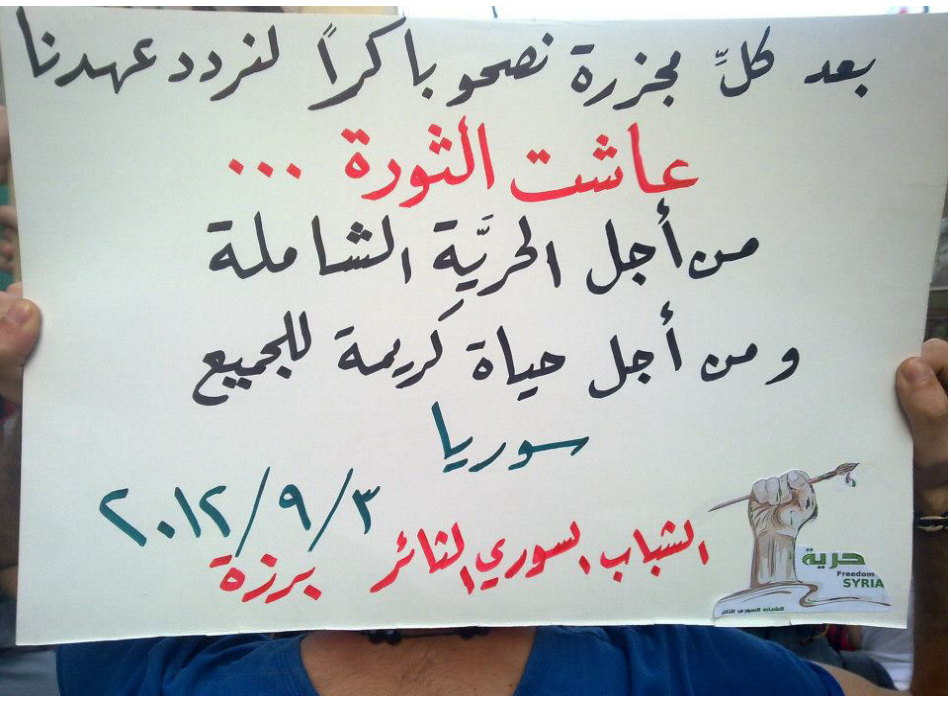

"إن كـون الإنسـان عاشَ مـع العنف ردحـاً طويلاً مـن الدهر، لا يجوز أن نسـتنتج منه أن العنف من لوازم الوجـود الإنسـانيّ، بـل يجب النظـرُ إليه كمـا هو في حقيقتـه باعتباره عائقاً أمام التّقدم الإنسـانيّ، تماماً مثلمـا ننظر للأميّة اليوم باعتبارهـا عائقاً أمام التقدم الإنسانيّ" د. محمد العمار

شـهد المشـهد الثقافـي والسياسـي فـي العصـر الحديث ثورات شـعبية كبـرى أحدثت تغيرات ملموسـة على المشـهد العالمي، وواكبَ هـذه الثورات مدٌ ثقافي واسـع يرى كثيـراً من الجـدوى في المقاومة المسـلحة تحديـداً وفي قدرتها على تحقيـق أهدافها بل يرى فيها نمـاذج كبرى للتغيير الاجتماعـي. وتبنى كبار المثقفين مثل سـارتر هذا النموذج متغنين بالملاحم الثورية التي كانـت إحـدى السـمات المميزة للعصـر بدءاً مـن الثورة البلشفية في 1847، والثورة الصينية وانتصار ماوتسي تونـغ على جيش القوميين النظامي في 1949، وفيديل كاسـترو فـي كوبا عـام 1959، وصمـود الفيتكونغ في فيتنـام في وجه أمريكا وإحراجهـا، والجيش الجمهوري الأيرلندي، وجبهة التحرير الفلسـطينية، ونمور التاميل فـي سـريلانكا، وحركـة إيتـا الانفصاليـة فـي إقليـم الباسك بإسبانيا، وهجمات حزب اللّه على الأمريكان في الثمانينيات وغيرها الكثير من حركات المقاومة. الشعوب لامسـت جدوى العنف السياسي وبمجرد أن اعتبر مجدياً بات بالإمكان التغاضي عن تكاليفه البشرية العالية.

بيد أن رومانسية الانتصارات الملحمية أخفت بشكل متقن دموية النتائج القصيرة والمتوسطة لهذه الحروب، وبقيَ الشارع الثقافي العالمي مخموراً برؤية دكتاتوريات تطرد وحكومات تتغير وجيوش تهزم وحدود يعاد رسمها: على السـطح كان من السهل رؤية الملامح الدرامية لهذا التغييـر، إلا أن تحري مـا يخفيه في أعماقـه كان بمثابة السـهل الممتنـع، فلم يتنبـه العقل الجمعـي كيف جرى اسـتبدال دكتاتـور بآخـر، وكيـف تواصلت بـل تعاظمت الانتهاكات لحقوق الإنسان، وكيف تزايد سقوط الضحايا بأعـداد أكبر، فضلاً عن الانهيـار الاجتماعي والاقتصادي والديمقراطي في الدول التي تبنته.

شـكل كل مثـال تقريبـاً من هـذه الأمثلة مأسـاة إنسـانية مازال الكثيرون يتغاضون عن ربطها بوسـائل التغييـر التـي قـادت إليها فـي البداية. أسـهمت حملات ماوتسـي تونـغ، ذاك الـذي يدافـع أنصـاره عـن جدوى العنف السياسـي، بشكل مباشـر وغير مباشر في مقتل قرابة سـتين مليون إنسـان في الصين. أدبيـات الثورة البلشـفية بدورها أخفت انتهاكات صارخة تغاضى عنها الكثيـرون، ويذكـر أن شـتينبرغ، مفـوض العدليـة في حكومـة لينين البلشـفية، اعتـرض على أوامـر النظام بتصفية (جميع أعداء الثورة والمخربين وقتلهم مباشرة عنـد العثـور عليهم)، وسـخر مـن القانون أمـام لينين نفسـه قائلا: "لمـاذا نحتاج إلى المفوضيـة العدلية إذن، لماذا لا ندعوها ببسـاطة مفوضيـة التطهير الاجتماعي وننتهـي مـن الأمـر؟!!"، عندها أجابـه لينين: "أحسـنت القـول، هـي كذلـك إذن لكننـا لا نسـتطيع أن نعلنهـا هكـذا". الفيتناميون الذيـن يتفاخـرون بنصرهم على نصـف مليـون جندي أمريكـي مدجج بالسـلاح، يعانون إلى اليوم من تبعات الحرب الدامية التي سـقط ضحيتها أكثر من مليون ومئة ألف شخص ولم تحقق إلا انقساماً ودماراً وتفككاً مازالت آثاره تحصد الأرواح إلى اليوم بعد سـتين عاماً على اندلاعها، وكوبا التـي يتغنى الكثيرون بملاحم انتصاراتها الثورية عايشـت وما تزال واحدة من أطول حالات الاسـتبداد في الحكم في القرن العشـرين، سـريلانكا من أكثر الدول في العالم التي عانت وما تزال مـن الحرب الأهلية التي كانت أهدافها عادلة تماماً لكنها ارتكسـت إلى صـراع طويـل ضاعت تحت رحـاه حقوق الضحايا والقتلى بعشـرات الآلاف. حركة إيتا في إسبانيا كانـت تسـعى لتحقيـق عدالـة افتقدها إقليم الباسـك لقرون طويلة مع تعاقب (المحتلين) والمسـتبدين، لكن أهدافها العادلة لم تشـفع لوسـائلها المخلّة التي دفعت نصف مليون إنسـان من سـكان الإقليم فـي 1997 إلى الخروج للشـارع وهـم يصرخون "كفى، كفـى" لإيقاف عنـف الانفصاليين، فيما يمكن وصفه بالثورة السـلمية على الثورة المسلحة.

وفي ظل الإيمان الواسـع بهذه "الجـدوى" بدى من العصـي التنبـه لحـركات المقاومة السـلمية التي قادت إلـى اسـتقلال الهنـد وحقـوق متسـاوية للأمريكيين السـود، وللسـود في جنوب أفريقيا، وأسـهمت في بناء ديمقراطيـة في بولندة والتخلص مـن الدكتاتورية في الأرجنتيـن والتشـيلي والفلبيـن ودول أوروبا الشـرقية وغيرها من الدول، فيما بـدت نتائج هذا التغيير إيجابية جداً على مستوى العيش والديمقراطية وحقوق الإنسان والصحافة والتعبير والتنمية البشرية في هذه الدول.

بدورها، فقد تغيرت طبيعـة الحرب الحديثة اليوم، فلم تعد تعتمد على الشجاعة بقدر ما تعتمد على العتاد الذي تملكه قوى بعينها تتبرع به حيناً أو تغله أو تبسطه أو توقفه نهائياً فتضغط به أو تفاوض أو تقاتل أعداءها (الذين هم ليسـوا بالضرورة أعداء المقاوم نفسه). ومع بقاء حق النقض المخزي في مجلس الأمن، الذي يدوس ببسـطاره العسـكري على مبادئ الديمقراطية ويعطي الحـق لأحد أعضائه، ضـد رغبة الأغلبيـة، بمنع التدخل لحماية المدنيين في كل مكان وليس في سـوريا فقط، ومع الامتـلاك الحصري للعتاد المتطـور في حوزة نخبة مـن الـدول، فإن الحـرب من أجـل الحرية ليسـت اليوم أكثر من معـارك بالوكالة لتحقيق "مكاسـب" سياسـية ليـس لأصحـاب الحقوق بـل لأصحـاب المـدد. الجندي البائـس الذي يناضل اليوم في الـدول النامية بات بيدقاً تحركه إرادة لا يسـتطيع دائمـاً، بل غالباً، إدراك أهدافها الحقيقية، تبتـزه لينفذ أوامرها، بعد أن ابتزته ليقع في شراكها، وتمده فقط بما يكفي من العتاد لإبقاء الصراع مستعراً لكن متوازناً، فلا يجب أن ينتصر طرف على آخر إلا باتفاق الممولين بين بعضهم، والمشـهد بات متكرراً لدرجـة الغثيـان لتلـك القرابيـن البشـرية التـي مازلنا ندفعهـا فـي أتون حـرب لا تملك في ذاتهـا القدرة على تحقيق أي نصر.

لكـن تحـولاً شـهده القـرن الماضـي مـازال يمنح بصيصـاً مـن الأمـل للمسـتضعفين والمؤمنيـن بحق الإنسـان في الحياة والحرية، ويتمثل في اكتشاف القوة التي تملكها الشعوب بعد أن كانت حصرية في يد بعض القادة (أو الأفراد): قوة تنتشـر بشـكل أفقي سريع عاماً تلـو الآخـر، وتحتل آثارُهـا العقـل الجمعـي العقد تلو الآخـر، وتفرض رؤيـة جديدة للتاريـخ والواقع تأخذ في اعتبارها ارتباط وسـائل النضال بالأهداف والنتائج التي تترتب عليها، فيما تنحسـر عدوى السـلاح على خريطة العالم بشكل متدرج لكل من يتابعها، وتنحسر معها كل تجليـات العنف بدءاً من الحروب العالمية الكبرى ووصولاً إلـى الحروب الصغيـرة والجرائم والتعذيـب والاغتيالات والعنصرية والتمييز والعنف ضد المرأة والطفل. الحروب القديمـة بين الدول العظمـى أصبحت جزءاً من الماضي وربما لن نرى آثارها بعد اليوم إلا في المتاحف ولن نقرأ أخبارها إلا في كتب التاريـخ، أما هذه المعارك الصغيرة الطويلـة المتواصلة التـي تجتاح هذا الجـزء من العالم بين العقـد والآخر، فسـتكون نهايتها قرينة الاكتشـاف الذاتـي لسـنن التغيير والتطور البشـري قبل أي شـيء آخر، وستحسـم بانحسـار الوهـم بجدوى السـلاح بين خـداع القـوي وجهل الضعيف: هذا المخـاض فيه ما في أي مخاض آخر من الألم والعذاب، وسواء فشل أو انتصر فهو مـاض في وضع رواية التاريـخ الحقيقية بعيداً عن كذب المنتَّصر ومغالاة الضحايا.

إن الطريـق لتحقيق غاية السـلام في هـذا العالم مـازال طويـلاً جـداً، والطريـق للحفـاظ على مـا تبقى منه في سـورية بات أقرب للحلم، وربمـا أصبح الحديث عن وقـف القتل والعقاب الجماعي السـافر والاسـتبداد والقصـف والاغتيـالات، ومعـه علـى الطـرف المقابـل الحديث عن الالتزام بالمدنية والسـلم ورفض الانتقام، ربمـا يكـون خطاباً أقـرب للتمني منه للواقع في شـارع يرفـض طرفاه أي إشـارة للتعقـل والتفكيـر أو التنازل أو التفـاوض ناهيـك عـن التوقـف من طرف واحـد. أما الإنسـانية المكلومة فـي كل مكان، شـئنا أم أبينا، فإن تطورها يقود باتجاه سـلام بات يمكن قياسه ودراسته، لكن على الرغم من الانتصارات الكثيرة التي حققتها، إلا أنهـا قد لا تملك ما يكفي من الوقت لتحقيق هذه الغاية إن واصلـت إيمانها بحتمية العنف ليس لجدواه أو عدالته وأثره بل لسـيطرة فكرة خاطئة علـى عقولنا تماماً كما سـيطر وهم دوران الشـمس حـول الأرض على فكرنا لقرون طويلة. فهل نعتبر بغيرنا أم كتب علينا أن نكون نحن العبرة لمن سيأتي بعدنا؟!.

حكـــايـة نـــزوح

■ جنى يوسف

هنا تبدأ الحكاية..

جلست إلى جانبي على المقعد الخشبي لمدرسة أصبحت بيتها، في وجهها علامات سنين تزيد على الثمانين بقليل. من ثنية مخفية في طيات ثوبها الفضفاض أخرجت ورقة صغيرة، مطوية بعناية، ناولتني الورقة وطلبت مني الإتصال بالرقم المدون يعلوه اسم خُطَّ على عجل.

كانت المرة الأولى التي أراها بها، هنا بدأت حكايتي أما حكايتها فهي أقدم بكثير. فضولي والنظرة الغريبة في عينيها دفعتني للسؤال محاولة لملمة الحكاية.

بيتها يبعد عن المدرسة كيلومترات قليلة، تركت أشيائها، تفاصيلها اليومية، وحارتها، في غمرة موت لا تفهم سببها، مشت مع جيرانها حتى وصلوا للمنطقة الآمنة، على جدران المدرسة تحفظ لهم حياتهم. ذهبَتْ مع الذاهبين.

تمضي يومها في المدرسة - المأوى، متنقلة من كرسي إلى آخر، من شخص لآخر، تقتل مَلل النهار الطويل، وحدها في غالب الوقت. عرفت أن لا أحد من أفراد عائلتها هنا.

أعطتني الورقة بيد ترتجف من ثقل السنين، أخبرتني أنه رقم ابنها. سألتها إن كانت تود منه القدوم لأخذها، جوابها كان هزة من رأسها وقالت "فقط قولي له أمك بخير".. ورفضت أن تحادثه هي. الرقم المقفل أغلق باباً في وجهي.

لعدة أيام متتالية كان اسمها يظهر أو يغيب أمامي في قوائم مراجعي النقطة الطبية داخل المدرسة، وكانت تغيب معه عن التجول في باحة المدرسة.

يوم غيابها الأول سألت عنها مستغربة شطب اسمها في السجل، أخبروني أن إبنها، الذي رفضت أن تنزح معه قبلاً وآثرت البقاء في بيتها بين أهل حارتها، كان قد عرف بوجود أمه في المدرسة، فاصطحبها إلى بيته المؤقت، عادت في اليوم التالي تكرر له "بدي ضل مع جيراني.. ".

* * *

بعد كل وداع، كانوا ينتظرونها. يدركون أنها ذهبت اليوم مرة أخرى مع ابنها، لكنهم سينتظرونها في اليوم التالي، لتكمل طقوس الجيرة في حارتها الجديدة، ساحة المدرسة!

المدرسة اليوم شبه خالية، سكانها الجدد نزحوا مرة أخرى، بحثاً عن جدران آمنة. وهي ذهبت مع الذاهبين.

لم يعد البيت آمناً بالنسبة للعائلة الصغيرة، كان لا بد في لحظة من الانتقال لبيت أقرباء على بعد شوارع قليلة.

في كل صباح، تذهب أم أمجد إلى الشارع الذي يقع فيه بيتها، تمشي فيه كمن يتفقد عزيزاً، تسلم على زواياه، على ما تبقى من وجوه صامدة فيه، وتعود إلى بيت مضيفها.

بعد أيام قليلة، وصل الخطر بيت عائلة الأقرباء، كان عليهم أن ينزحوا هم أيضاً، التجأ أولاد أم أمجد كلٌ إلى منزل صديق، وهي ذهبت إلى أحد مراكز الإيواء في منطقة أبعد وأكثر أمناً.

لم يعد الطريق يستهلك خطوات قليلة، ساعة أو أكثر هي المدة التي كانت تحتاجها أم أمجد في رحلتها اليومية لتقول لشارعها صباح الخير.

تصل إلى بداية الشارع، تسحب من حقيبتها الصغيرة سيجارة، تشعلها لتعلن بدء الجولة اليومية؛ خطوة خطوة بهيئتها الواثقة، تلقي نظراتها على المكان، باحثة في وحشة الشارع عن أيام ماضية.

لدقائق قليلة تستمتع بكونها هنا، حيث اعتادت أن تكون. تمشي خطوات قليلة بالمدة التي تستغرقها لإنهاء سيجارتها. ليس للزيارة هدف محدد إلا تفقد أحوال الحي، حتى أنها في غالب الأيام لا تصل حد بيتها. تنفث آخر دفعة من الدخان وتدوس عقب السيجارة بطرف حذائها، وتقفل راجعة إلى مسكنها الجديد المؤقت.

الناس القلائل الباقون هنا يعرفونها، يرونها كل يوم في تجوالها القصير؛ نزهتها الصباحية أصبحت روتيناً يعيشه الحي المنكوب، موعداً لأبنائها ليلتقوا بها، ومنفذاً لها كيلا تعتاد الغياب.

* * *

لم ولن تنتهي الحكاية..

يذهب الأهل ويأخذون في حقائبهم الموضبة على عجل أجزاء من أحيائهم كيلا يطالها الدمار. في قصصهم تخلق الحكاية كل يوم من جديد، تعتنق أبطالها الجدد، تهمس للراوي بما عرفت عنهم، عن شوارع تنتظرهم ويشتاقونها. وتنتقل لحي جديد.

الهتافات السورية حرية للأبد

■ مهند الحسامي

قبيل اندلاع الثورة في سوريا، التي يؤرخ لها بالخامس عشر من آذار 2011، خرجت تظاهرة لم تكن في حسبان أحد، إن كان على مستوى المكان الذي انطلقت منه التظاهرة، أو على مستوى نوعية المشاركين، وطبعاً التوقيت الذي لم يكن محسوباً بالمرة، فقد كان الأمر برمته مجرد حادث.

في شباط من ذلك العام أهان شرطي مرور سائق سيارة، وكما يحدث في أي مشاجرة، كلمة من هنا وكلمة من هناك إلى أن وصل الأمر حدّ الاعتداء على السائق ومرافقه بالضرب. ولكن ما حدث تالياً لا يحدث عادة في هذي البلاد، لقد أدى الاعتداء الصريح إلى تظاهرة لأبناء حي الحريقة الدمشقي، وهو الحي المعروف كسوق لتجار الأقمشة الشوام. هاج الناس وماجوا هناك، نصرة لابن التاجر الكبير الذي جرى الاعتداء عليه. وهناك، في حي الحريقة، ولد أشهر هتاف للثورة السورية، التي ستبرعم بعد حوالي الشهر: "الشعب السوري ما بينذل".

وبالطبع كان الشعب السوري قد تجرّع الذل مراراً وتكراراً على مدى أكثر من أربعين عاماً، لكنهم كانوا يرمون إلى القول إنه لن يسمح بعد الآن أن يذلّ الشعب السوري. وقد أثبتت الأيام والشهور التالية أنهم لم يكونوا يمزحون.. لقد ماتوا وذبحوا واقتلعت حناجرهم وعيونهم من أجل ذلك. أما الهتاف، فراح يكبر ويتلون ويظهر بحلة جديدة في كل مرة، لكن أجملها كان "الموت ولا المذلة".

براءة تظاهرات الأيام الأولى، وطفوليتها دفعت المتظاهرين طويلاً لأن يبقوا عند كلمتين "حرية"، "سلمية". وقد شهدت بلدات كثيرة نقاشاً مستفيضاً مترددا في حسم أمر الهتاف الذي بات لازمة للربيع العربي "الشعب يريد إسقاط النظام"، مثلاً كانت مدينة حمص من البراءة بحيث إنها اكتفت بـ"الشعب يريد إسقاط المحافظ"، هو الذي كانت تروى عنه قصص وحكايا في الظلم والنهب والفساد.

لكنها قيلت أخيراً، في كل قرية ومدينة وشارع "الشعب يريد إسقاط النظام"، ولما لم تفد هذه الصيغة المهذبة الفصيحة الأنيقة راح الناس يطلقون من قهرهم صرخات وشتائم لا تلتزم بالضرورة بإيقاع ولحن. يكفي أن نعود مثلا إلى تظاهرات بلدة الكسوة في ريف دمشق لنتذكر أنها كانت تصرخ، وتشتم، أكثر من كونها تلحن هتافا.

الهتاف السوري كان يريد لنفسه أن يكون نداء سحرياً، أن يكون شيئاً مشابها لـ"افتح يا سمسم"، أن يقول "الشعب يريد"، فيجري في الحال تحقيق مطلبه.

الهتاف غالباً ما يأتي حسب الحاجة، هو قبل كل شيء مطلب، وبيان، وتضامن. كانت هتافات التضامن مع المدن الأخرى أول الصرخات التي انطلقت، أساساً كانت هي مبرر اندلاع الاحتجاجات في المدن الأخرى، وطالما شاع هتاف من قبيل "يا درعا دوما معاك للموت"، ثم يروح الهتاف يتدحرج "يا دوما حمص معاك للموت"، "يا حمص ادلب معاك للموت"، وهكذا إلى أن دارت الدائرة على كل مدينة وشارع. لكن الشارع في ما بعد صار يقرأ السياسة أكثر، يقرأ حركة الداخل، كما يقرأ حركة المجتمع الدولي تجاه سوريا، فصار الهاتفون يأمرون بصيغة أو بأخرى. أو يستجيبون لندءات ومبادرات بعينها. إذا أوحى المجتمع الدولي بأنهم يريدون وحدة المعارضة، طالب المتظاهرون بوحدتها، وإذا طالب بإطار تمثيلي محدد، قال الشارع إن فلانا يمثلني، من هنا ولدت الصيغة الأكثر تداولاً في لافتات الشارع: "المجلس الوطني يمثلني"، "هيئة التنسيق لا تمثلني"، "الجيش الحر يمثلني"... إلى حد أن هذه العبارة أخذت طريقها إلى يوميات السوريين حتى على سبيل الفكاهة.

كذلك ردّت الهتافات دائماً على افتراءات النظام وممثليه من إعلاميي القنوات الخاصة، أولئك الذين صوّروا الثورة باعتبارها فتنة طائفية، وكان الرد بأن يُرفع المعارضون المتحدرون من طوائف وأقليات إثنية على الأكتاف. هكذا أخذت هتافات الوحدة الوطنية حيزا كبيراً ومثالها الأبرز "إسلام ومسيحية سورية بدها حرية".

الهتافات خلال عامين كبرت، اشتد عودها، وقسا قلبها. بدأت تقول "سلمية"، ثم راحت تقول: مع التدخل الخارجي، الحظر الجوي، "الله محيي الجيش الحر"... المتظاهرون الذين بدأوا سلميين إلى حد شهدت أماكن عديدة تظاهرات لهم مع وردة وقنينة ماء لعسكر الجيش النظامي، صارت العسكرة لهم مطلباً حين رأوا قسوة النظام الاستثنائية.

بين هذه المطالب الهاتفة بأعلى صوتها كان المتظاهرون يتجولون هنا وهناك، راجت في حمى التظاهرات كلمات مثل "يا أهالي الشام، عنّا بحماه سقط النظام". ومع طول أمد الثورة، راح السوريون يسخرون في هتافاتهم، يشتمون مرة، ويستلهمون الرسائل الالكترونية المخترقة ليطلقوا على أقطاب النظام شتى التسميات الساخرة.

كان كل حدث ملهماً بهتاف جديد ومختلف. فاسم رئيسهم، مثلما ساعد من قبل على اختراع هتافات لتخليده، من قبيل "إلى الأبد يا حافظ الأسد"، و"الأسد أو نحرق البلد"، كان من السهل أيضاً أن يستخدم الناس الإيقاعات نفسها، فالاسم "لبّيس" أيضاً "حرية للأبد، غصباً عنك يا أسد". "عاشت سوريا، ويسقط بشار الأسد".

مختصر القول في الهتافات كلها ثلاثة أحرف: "ارحل". قيلت في طول البلاد وعرضها، تحولت إلى أغان ومقطوعات موسيقية، من بينها تلك الأغنية الشهيرة للمغني الحموي إبراهيم القاشوش "يلا ارحل يا بشار". لكن لا شيء يتسع لسرد هتافات السوريين في سنتين، فهم صاروا يهتفون ويخترعون الهتافات كما يتنفسون. الكل يهتف، والكل يغني، والكل يكتب لافتات، كما لو أنهم يكتبون بقهر السنوات الأربعين الماضية.

كتاب العدد لهذا الأسبوع:
أحداث مدينة حماة في صور
شباط 1982

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 28 كانون الثاني 2013

حشد كبير من الناس، شتائم وأصوات صراخ وعبارات تهديد بالسجن والسحق والقتل شحنت الصباح منذ بدايته. يبدو أن الشجار قد هدأ قليلاً، ولكن الناس ما زالوا متجمهرين؛لم ينته الأمر بعد، لا بد أنه يعنيهم.

السوريّ، بلا شك، عثر على صوته المبتور على يد نظام الأسد، ملقىً به في حجرات معتمة كانت أيضاً تعجّ ببرؤوس؛ وأصابع؛ وأقلام؛ وفئران؛ وأزهار؛ وشواهد قبور. النظام الذي اعتقل الحياة السورية حتى رمقها الأخير وأبقى لـ "الوطن" الصورة المشوهة، الخانعة أبداً أمام صورة القائد والعلم، ونحت بأدوات سوداء وصلبة وجود "المواطن" المهزوم المستعدّ لكل خيانة.

بالفعل لم يترك أحد مكانه حتى وصلت سيارة المخابرات الجوية وفتحت الطريق، بين الحشد مسرعة، وكأنه سائقها لم يكن ليأبه إن صدم شخصاً أو دهس طفلاً أو اثنين أو عشرة، لطالما كان الأمر سيّان، فاليوم أطلقت يدُ الجريمة في أرض غادرها حتّى شرطي المرور، وجه السلطة وممثلها الأصغر في الأمان المُحتفى به سابقاً. الموت هذه الأيام لم يعد يستلزم حتى تصديق شهادة الوفاة ومنحها لأهل الميت صدقة قسرية تُلصق على جدار التابوت أو على الكفن مباشرة؛ ربما لا وقت عند أحد ليكتبها، أو لم تبق أقلام أو أنامل شاغرة في مؤسسات الأسد. لقد فقدت الأشياء ضرورتها إثر اغتيال نظام الشبيحة، المُعلن وقاحةً، للقانون الرثّ أصلاً، فجفّت الحقوق حبراً في كتيبات دستور البعث المجيد على رفوف الدولة التي تنهش في ذاتها.

فُتحت الأبواب الأربعة، ونزل منها عناصر مسعورون كما يحلو لهم أن يكونوا دائماً، يصرخون بالناس، والشرّ المعهود يتقدّم أيديهم التي تقبض على البنادق والمسدسات؛ تكلّم أحدهم باقتضاب مع الشاب صاحب سيارة المرسيدس ووقف يتفرّج، بينما راح الأربعة الباقون يوسعون شرطي المرور ضرباً بأعقاب البنادق، ويجرونه كخرقة ومسخة باتجاه السيارة. صاحب الجلالة ابن فلان بن فلان بن آل العصابة الحاكمة، أحد منْ في رقابهم الآن، أرواح سوريين قضوا في رحلة بحثهم عن مفقودٍ أو مطالبة في استرجاع مسلوب من صوت وكرامة ولقمة وهوية وتاريخٍ وحلم.

الشرطي، موظفُ الحكومة البائس، الذي كنّا نكرهه ونحقد عليه لأنه كان يلمّ مرتباً إضافياً كل شهر، سواء كان ليسدّ به ثقوب جيوب بذلته الرسمية المتشربة كرثتيه بدخان الوقود السام، فيَصمُدُ فيها ثمن خبز ينقصُ عن أطفاله، أو ليبني لعائلته المهاجرة، ربما كدلالة على ترف حصلّه من وظيفة حكومية صغيرة كهذه، بيتاً صغيراً في إحدى مناطق المخالفات؛ الشرطي، المسالم إلى حد كبير، الذي لطالما كان يقف جَلوداً تحت الشمس والمطر يلوّح بعصاه المخططة، كان هدفاً لعدد لا يُحصى من نظرات ازدراء يرمقه بها المشاة وسائقو السيارات، وكبش فداءٍ أخرسَ لأولاد الضباط وأعوان النظام كيْ يلكموه ويبصقوا عليه مراراً في إثبات لسطوتهم، حاملين أبداً، الضمان بأن لا جرأة لأحد في الدفاع عن نفسه أمامهم، لحظة يُبرزون علاماتهم الفارقة.

الشرطي، في هذا الصباح، أراد مخالفة سائق المرسيدس بالقرب من ساحة النجمة في دمشق، لأن الأخير كان يقود سيارته في عكس السير. حاول الرجل الأربعينيّ النحيل، مرتّب الهندام، الدفاع عن نفسه بعد أن تلقى اللطمة الأولى على خده، لكن الناس تدخلوا وحالوا دون ذلك، شيءٌ ما كان ليحصل قبل عامين. ما زال عدم الرضوخ، على ما بدا عليه، غير مستحسن أحياناً، فالجميع شعر بتورط الشرطي وتخيّل، في ثانية، العواقب التي تنتظره. لم يكن أقل من المتوقع أن يُجنّ جنون الشبيح الذي كان لا يسمع سوى صراخ الشرطي يدخل جوف أذنيه كالسهام، غير قادر على إسكاته أو انتزاع اعتذاره العميق؛ ولم يكن أحد ينتظر غير أن يُخرج ذاك هاتفه النقال بعد أن سبق واستلّ مسدس النيكل ذا اللون الفضي اللامع، فأحسّ لحظتها بالجُبن، وحيداً في مبارزة عادلة مع الشرطي، الذي وضع بدوره يده على مسدس كان يحمله على خصره. كان لا بدّ له من الاستعانة بفرع الجوية ليطفئ رغبته في إذلال الرجل المسكين، بعد أن خُدشتْ أمام جمع الناس المتواطئين. كان قد وصل المكان ضابطان في شرطة المرور على دراجتيهما، ترجلا على الفور، خلعا خوذتيهما واتجا نحو الشبيح الذي ما إن حاولا تهدأته، حتى انفجر في وجهيهما مهدداً:

- «يلا من هون إنت وياه أحسن ما اشحطكم معو.. »

- «يا سيدي طول بالك، وازرعا بهالدقن. الزلمة غلط وحقك علينا، نحن منحاسبو بالقسم.. »، سرعان ما أردف الآخر: «حاضر سيدي.. يلي بدك ياه».

عبارات لم تكن جديدة على مسامع السوريين، لكن قبل الثورة كان أهل الشرطي يعلمون أنه سيعود إليهم بعد أن يُعذّب ويُفصل أو يُنقل من عمله، ولم يكن من السهل أن يعدموه، فقط لأنهم بحاجة لنصف متر مربّع إضافيّ كي يشغله معتقل جديد يصل غداً!

بالطبع لا سلطة في هذا الشارع لقانون درسه ضابط شرطة أو قاض أو نائب عام، القانون في ظل الثورة أصبح كلياً تحت حذاء الشبيح الموشومِ ذراعُه بصورة أبو حافظ. كما سقطت "سوريا" من هتافات جحافل المصفّقين في دار الأوبرا، يُسقط الشبيحة أي اعتبار لسلطة عسكرية أو مدنية. انحلال الدولة يتجلى واضحاً في سرعة من يتخذ إصبعه قرار الضغط على الزناد أولاً. أيُّ ملاحقة قضائية لشبيحة أعدموا ميدانياً عشرة مدنيين من داريا، اعتقلوا على أحد الحواجز فاريّن من جحيم القصف، ورموا بهم وضح النهار مقيدي الأيدي في قارعة الطريق؟ عن أيّ محاسبة كان يهذي ضابط المرور؟

بالفعل استدار الضابطان مبتعدين وهما يرتديان خوذيتهما، ركب كل منهما دراجته وانسحبا بعيداً. الشفقة لم تكن يوماً مرهماً لجراح إنسان. في سوريا، كانت الشفقة شعوراً بغيضاً اعتاده السوريّ، يليه يقين، يُدفنُ في أظلم بقعة داخل العقل، بأن الجريمة أصبحت جماعية الآن، وبمشيئة قانون العشيرة، ينتصّل جميع القتلة من العقاب.

لقد سحلوا الشرطي على زفت الطريق بهمجية. وجهه المدمّى كان يصرخ بصوت مشجوج ومخيف. كان الناس يصرخون متوسلين أولئك الأوغاد أن يتركوه وشأنه، لكن الأمر قُضيَ أخيراً برصاصة أطلقها الشبيح في الهواء فأسكتتهم للحظة، قبل أن تُقلع سيارته وتنطلق وراءها سيارة الأمن. تفرّق الناس وبعضهم يدعوا له بالفرج، وبعضهم الآخر يلتفت متقفيّاً دخان السيارتين بنظرات حاقدة، كمن يردّ النظرة لمن استحقّها طوال أكثر من أربعين عاماً. على الزفت بقيت آلام جسد الشرطيّ؛ ونظرات منْ أطلوا حائرين برؤوسهم من الشرفات المحيطة؛ وبضع قطرات من الدم؛ وقبّعة زيتيّة اللون مُزيّنة بنسر ذهبيّ صدئ، رموزاً لجمهورية الأسد المتفككة.

من ذاكرة العتمة

■ جوليا شحادة

كان سعيد مهندساً في مطار دمشق الدولي، أتمّ دراسته في الاتحاد السوفيتي وتزوج من فتاة روسية وأنجب منها صبيا ثم انفصل عنها.

لا ينتمي سعيد إلى أي حزب سياسي، السياسة ليست من اهتماماته أساساً، ويعاني من البارانويا (جنون الارتياب).

في أواخر الثمانينيات وأثناء حملة الاعتقالات التي شهدتها سوريا لأعضاء حزب العمل الشيوعي وعدة أحزاب أخرى، تم اعتقال زميل لسعيد من مكان عمله، فارتاب سعيد بأنه مطلوب أيضاً خصوصاً وأنه كان قد تم اعتقال الكثير من شباب عائلته، فغادر إلى وادي اليرموك واختبأ في مغارة هناك.

بعد مضي أكثر من شهر على اختبائه أصاب سعيد الملل وأيقن أنه لم يكن مطلوباً، فغادر مخبأه وعاد إلى عمله، بعد يومين تم اعتقال سعيد بسبب وشاية من أحد زملائه في العمل مبنية على اختفائه المريب ونقل إلى سجن صيدنايا.

ازدادت حالة سعيد سوءاً في المعتقل، فازداد انعزالاً وبدأ تعاطيه مع الآخرين يتسم بالعدوانية والفوقية.

بعد عدة أشهر سمحت الزيارات لسعيد، فأتى أهله برفقة ابنه لزيارته جالبين له بعض الصور التي التقطها أيام دراسته في الاتحاد السوفيتي وفي يوم زفافه وخلال حياته المشتركة مع زوجته قبل الانفصال، وفي جميع هذه الصور تظهر زوجته الشقراء الجميلة معه وفي بعضها يظهر إبنهما الصغير الذي يشبه أمه كثيرا، وقد جرت العادة في ظل التعطش لأي خبر من الخارج أن يتجمع الشباب بعد كل زيارة عند المعتقل صاحب الزيارة لسماع أي جديد.

لم يصدق الشباب عندما رأوا الصور أن هذه أسرة سعيد، فلكثرة ما كان يتصرف معهم بفوقية ويتحدث عن إنجازاته بتعالٍ ظنوا جميعاً أنه كان يكذب، بدأ الشباب بإخبار بعضهم عن موضوع الصور، وأخذوا يتوافدون على سعيد لرؤيتهم وسعيد يرمقهم بنظرات غاضبة.

بعد أكثر من ساعتين على هذا الوضع جاءت آخر دفعة من الزوار إلى زاوية سعيد وطلبوا منه رؤية الصور، فأجابهم سعيد الذي ضاق بهم ذرعا: والله خلصوا، أكلوهن الشباب، الزيارة الجاية بحسب حسابكن بكم وحدة!

المنسيون في الظلام لن ننساكم | عمل لوسام الجزايرلي

في حب سوريا

■ سامر الحموي

أكتب إليك بمداد من الحب..
رسالة كبيرة من الوداد والشوق..
أنت من تضيق الكلمات قاصرة في وصفك..
أنت الود والعشق والصفاء والإيمان والأفكار..
وكل ما اشتملت عليه الروح والمشاعر..
شعاع النور يتمدد بين جنباتك مستأذناً كما الخاطب في حضرة المخطوبة..
أنت بسمة الطفل لحظة انطلقت قدماه..
أنت الألم العظيم يصبح صاغراً تحت أركان العظمة والصبر الجميل..
أنت صوت اللّه أكبر تشق أسماع من حاربها..
حكاية حب تمتد من الأزل إلى الأبد بفصول من الألم والأمل الكبير..
أنت المزن يهمي يسقي الفؤاد والأنام..
سوريا شوق الإنسانية للعدالة والحرية على مر الزمان..
ماذا أكتب في حبك وأنت الحب والشوق عامراً..
ستبقين يا سوريا مهوى العاشقين على مر الزمان المتلهفين للعدل والأمل..
الحرية قادمة يا سوريا العظيمة..
لا تبكي يا حبيبتي، الألم ساعة واحدة والأمل إلى قيام الساعة..
ستبقين يا طاقة الورد، فواحة على مر الزمان..
النصر لك يا سوريا العظيمة..

بلاد

■ لارا صبرا

بطائر يحرس فتات خبز على نافذتك، بضوء مئذنة أخضر وتسبيح مصلوب، بتلك السهولة كانت البلاد..

وما تبقى منها يملأ الدواة دماءً ويرسم حدود أكبر لها لتضم اللاجئين على قارعتها.

والبلاد هناك.. حيث الهدوء هو الأوفر حظاً في النُدرة.

وهناك ايضاً..

ملأ صراخ القذائف أذنيه، وذكره بصراخ والدته يوم حمل لها قطة إلى المنزل، وأمضى ساعاتٍ محاولاً إقناعها بأن تلك القطة أنجبته على غفلةٍ من الزمن.

وقف ناظراً منزله المحترق وغارساً أصابعه في التراب ـ إنه.. إنها ـ هكذا رأى والديه من بعيد يبتسمان له.. اقترب منهما وجارى خياله فرحهما..

اقترب ليستغل الخدعة وتلتقط له القذيفة المتجهة إلى المنزل المجاور صورة تذكارية.

وأيضا تذكر ليال الحصاد، لم يكن يدري من تخلف عن الآخر هي أم هو..

أتعبه التفكير حقاً وأغلب الظن أنها من تخلّفت، فهو لا يزال يجيد الغِناء وتأنيث الخريف..

أما هي فربما وجدت من يُجيدها، على كل حالٍ كانت ليالٍ لطيفة على الرغم من أنها تركت له عباءة الفقاعة.

وعندما اكتسى الليل نجومه، داعبت قطرات المطر وجهه وأيقظت رائحة الحاضر المدفون تحت التراب وفوقه.

جثا على ركبتَيه وقال في سرّه: لون وطعم ورائحة اكتمل المشهد أخيراً!..

د. جابر عصفور
نقد ثقافة التخلف

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم "نقد ثقافة التخلف" للناقد المصري الدكتور جابر عصفور. بحوث وأوراق كتبت عبر سنوات قليلة تدعو - بحسب تعبير المؤلف - إلى المزيد من الكشف عن كل ما لا يزال في حاجة إلى الكشف، في مؤازرة تحرير وتطوير العقل النقدي في المجتمع العربي. والدكتور جابر عصفور يدعو في هذا الكتاب إلى بناء ثقافة جديدة تنمو في ظلها حرية الفكر والابتداع، حيث يؤمن بأن حرية الفكر السبيل الأوحد للتقدم والرقي الحضاري مدللا على ذلك بأن الحضارة العربية الإسلامية لم تزدهر إلا بمدى ما حققت من حرية فكرية ساعدت على نمو طاقات الإبداع الفكري، كما أنها لم تعرف طريقه إلى الانحدار إلا عندما استبدلت التقليد بالاجتهاد، والتعصب بالتسامح، والتسلط الظالم بالمساواة في العدل، فكانت النتيجة ازدياد معدلات الانهيار الذي اقترن بسجن المختلفين فكريا وسياسيا وتفكيرا دينيا والتصاعد المطرد في اضطهادهم وتعذيبهم وإعدام البعض منهم مما أدى إلى الانحباس في المدار المعرفي المغلق الذي اقترن بانغلاق المدار نفسه على التسلطية السياسية والدينية والاجتماعية، فكانت النتيجة الحتمية التي اقترنت بتوقف الحلم العربي واتساع مدى الهزيمة في مواجهة المغول والتتار ثم الصليبيين، والانحدار إلى قرارة القرار من التخلف. وكان ذلك في الوقت الذي بدأت فيه النهضة الأوربية من حيث انتهى أمثال ابن سينا وابن رشد والتقدم العربي بوجه عام، فتسارعت خطى الصعود الأوروبي في الحضارة والتقدم بقدر تصاعد طي الانحدار العربي في كل مجال.

كما يؤكد أن الدولة التسلطية التي تقوم على احتكار السلطة والقوة والثروة لصالح النخبة أو العائلة الحاكمة تولد ثقافة التخلف وهي ثقافة الإتباع الفكري وقمع الرأي والخوف من الحكومة والسلطة والدولة، وهي احتكار السلطة عن طريق اختراق المجتمع المدني، مشيرا إلى أن النظام السياسي متسلط، وقائلا بأن خطأ السادات في التحالف مع الإخوان المسلمين.

ويرى عصفور أن تطوير التعليم مفتاح توليد العقل النقدي لدى الشباب المصري، وهو أساس التطور، مشيرا بكلمته خلال الندوة إلى أن عصور الانحدار تقوم على النقل وليس على النقد وهناك إشكاليات تحتاج للتأمل وتدعو لإعادة التفكر في مفهوم التقدم.

و مفردات ثقافة التخلف بحسب الكاتب هي أولا الانكفاء على ماض متخيل وهذا الماضي لا أساس له في الواقع، وهذا هو حال المجتمع العربي ككل، ثانيا التعصب للقديم وعدم الإيمان بالجديد، ثالثا الدولة التسلطية التي تقوم على احتكار السلطة والقوة والثروة لصالح النخبة أو العائلة الحاكمة.

كما يتناول المؤلف في كتابه أيضاً الخطاب المعرفي وكيف أن هذا الخطاب يتعرض للرقابة من ناحية والعقاب من ناحية أخرى وأشار إلى أهمية دراسة المسكوت عنه في الخطاب، وكيفية مواجهة ثقافة التخلف حيث أن الحلول الجزئية لم تعد تجدي فنحن في حاجة لنظرة إستراتيجية فالعالم الآن يتحدث عن 2020 ونحن ليس لدينا هذه الرؤية وفي حاجة إلى رسم خرائط معرفية جديدة، والقضاء على التفكير الخرافي.

من يقرأ الكتاب يستطيع الحصول على سيناريو تفصيلي وأجندة تقريرية عن حال تدهور العقل العربي والردة الحضارية التي تمكنت من افتراس روحه، فقتلت فيها البهجة والتمرد والإبداع، وتغيير سلوكياته فطبعتها بالطابع المظهري الشكلي الذي يهتم بالطقوس على حساب الضمير والجوهر.

هذا وتحتل حرية التعبير في كتاب د. عصفور معظم الكتاب، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، فهو لا يكل ولا يمل من المطالبة بهذه الحرية ويعتبرها مفتاح النجاح والحل، وهي حرية تفرز نفسها وتصلح أخطاءها بمزيد من الحرية، وانطلاقاً من هذا المانيفستو الحر يهاجم فوبيا الفن، التي سكنت عقولنا، فيناقش رقابة فيلم آلام المسيح التي وصل صداها لمجلس الشعب الذي حاكمه دينياً بدلاً من مناقشته فنياً.

ويؤكد الدكتور جابر عصفور على أن شيوع خطاب العنف الثقافي يرجع إلى أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية ودينية، ومن الممكن أن نقرن هذه الأسباب، في نتائجها المباشرة وغير المباشرة، بالكبت الطويل الذي انفجر عنيفاً محتدماً قامعاً ومقموعاً في الاتساع النسبي لهوامش حرية التعبير التي لا تزال محدودة، والعنف الذي لا تفارقه دالة على أشكال القمع السياسي والاجتماعي والثقافي الغالب على الأقطار العربية.

لكن ماذا عن أهم الأسباب السياسية التي تدفع إلى العنف يؤكد عصفور أنها تتصل بالآثار الناتجة عن حضور الدولة التسلطية في توزعها الغالب على الأقطار العربية، وهي الدولة التي تحتكر مصادر القوة والسلطة في المجتمع لصالح الطبقة أو النخبة الحاكمة، معتمدة في ذلك على اختراق المجتمع المدني وتحويل مؤسساته المستقلة إلى تنظيمات تابعة تعمل بوصفها امتدادا لأجهزة الدولة، ويقترن ذلك بالهيمنة على النظام الاقتصادي وتحويله إلى خدمة النخبة الحاكمة وذلك على نحو يقرن الاقتصاد بالسياسة أو العكس في المدى الأيديولوجي لهذه الدولة التي تسعى أجهزتها الإيديولوجية إلى تأكيد معنى الإجماع ورمزية القيادة.

ويترتب على ذلك التضحية بمبادئ الحرية في سبيل فرض الوحدة القمعية، وتأسيس التراتب بين القيادات والمؤسسات بوصفه الوجه العامر للنظام البطريركي الذي يفرض طاعة الأعلى على الأدنى في كل الأحوال. وطبيعي أن تقوم شرعية الحكم في هذه الدولة الاستبدادية على استعمال العنف والإرهاب أكثر من الاعتماد على الشرعية التقليدية، الأمر الذي يؤدي إلى عدم وجود انتخابات لها معنى، وإلغاء الدساتير أو تعطيلها، وتجميد الحقوق المدنية المقترنة بحقوق الإنسان أو تعليقها.

ولا تنفصل الأسباب الاجتماعية عن دوافع العنف من هذا المنظور خصوصاً حين تغلب البنية البطريركية على المجتمع مقترنة بأنواع من أشكال التمييز القسري الذي يمايز بين ما يعده المجتمع أو تعده المجموعة الاجتماعية أعلى أو أدنى وذلك على أساس من تبرير أفضلية الأعلى على الأدنى بموروثات من معتقدات وعادات وتقاليد، موروثات تؤصل التمايز على أساس من اللون أو الجنس أو العمر أو الطاقة أو الثروة.

والكتاب في مجمله يحمل خطابا ثقافيا جديدا ويرسم تقدماً واضحاً للمجتمع، مما يؤدي إلى تسريع عجلة التقدم، عبر آليات التفتيش عن الثقافة التي أفرزت هذا الواقع المتردي، فالثقافة قد تكون عملية عقلية وإبداعية وتسامحية، وقد تكون إتباعاً وإرهابا وقمعا ومصادرة، أي أنها إما ثقافة تقدم أو ثقافة تخلف، وهي في كلتا الحالتين قوة، فثقافة التقدم هي قوة في المعرفة والتطور، بينما ثقافة التخلف هي قوة في هدم المجتمع، وقد شرح عصفور في كتابه كيف نشأت ثقافة التخلف وتحولت من كونها نتيجة للوضع المتردي إلى أداة للاستمرار فيه، وهي ذات حصانة ضد التغيير، وعلى زواج كاثوليكي مع العيش في الماضي وعدم اعتراف بالآخر أو الطرف المختلف، وهناك مثل صيني يقول «إذا كانت أداتك الوحيدة هي المطرقة فكل الأشكال تأخذ شكل المسامير»، والمطرقة هنا هي ثقافة التخلف والمسامير هي الإبداع، الفنون، الآداب، والمرأة ووضعها في المجتمع.

كتاب «نقد ثقافة التخلف» كتاب لا يضع إجابات بقدر ما يطرح أسئلة، وهذه هي مهمة المفكر والناقد الحقيقي.

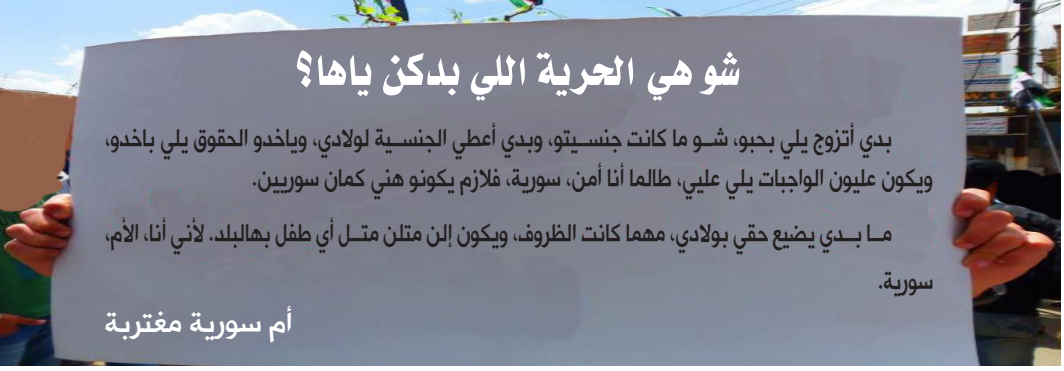

محمد عبد الكريم

إلى كلّ الطواغيت في العالم: استهلالكم خطاباتكم بعبارة (أيها الشعب العظيم..) لا يعني السماح لكم ببقية ما ورد فيه من طغيان!..

ليلى العودات

أقل الأقليات هم المرفوضون في جماعاتهم الرافضون لتوجهاتها، تقع عليهم عنصرية الجماعات الأخرى بالتعريف وبرافقها اضطهاد ورفض وتخوين من جماعتهم.. هذه المجموعات تبقى بلا وطن سقط من سقط وحكم من حكم، ولكنها هي بالذات من سيقف حارسا على باب وطن الباقين وشوكة في حلق كل مشروع مستبد. هم ضمانتنا الوحيد.. فلنبق لهم مساحة للتنفس.

إيمان جانسيز

يا سورية العفيفة.. رموك بحجارة صمتهم.. وهم يعلمون أن قميصك قُدَّ من دُبُر.. ذئبك بهؤلاء.. والحق بيّن.. لكنهم قطعوا أصابعهم.. فضلت الإشارة..

صبحي حديد

هل يعقل أن رياض سيف، نائب رئيس الائتلاف، ما يزال حتى الساعة يطلق على المجرم الأسد صفة "الرئيس"؟ أتضيفون الإهانة على جراح السوريين؟

فدوى روحانا

بعد أن ضحى الآلاف بحياتهم من أنا لأقول عيث، من أنا لأقول لا جدوى، من أنا لأنعي الربيع، من أنا لأعلن قدوم الخريف، من أنا لأخاف، من أنا.. أنا لا أؤمن إلا بالإنسان في روح الشعب ولا شيء يفوق إيماني بذلك..

أحمد الأحمد

أحلق الذّقنَ بالوجع، أستحمّ بالخجل، أرتدي العار، أصبّ قهوة التّيكيت، أدير محرّك الضّعة، وأنطلق باتّجاه اللعنة. (ملخّص الحياة اليومية لسوريٍّ في الخارج)

ناصر عبو

الإخوان المسلمون بشكل عام حركة محافظة وليست متطرفة وإضعافها رح يعطي مساحة اكتر للسلفية السياسية الجديدة يلي فيني قول عنهم متطرفين بغالبيتهم.. القصد لا يعني السكوت على أخطاء الإخوان لكن لنحاول نكون موضوعيين بنقد أخطائهم نحاول يكون نقدنا بناء ولا نحسبهم عل السلفيين والعكس صحيح وبالنهاية الجوز منا وفينا ولازم نحاول نتعلم كيف نتعامل معهم أو حتى كيف نخاصمهم لما فيه المصلحة العامة وباريت شوف العلمانيين عم يرفعو شعار بلي ما بيجي معك تعال معو ويحسسوني فعلا أنهم أكثر نضج وعقلانية بالتعامل مع الشأن العام بس لهلأ ماني شايف غير بعض المحاولات الفردية من بعض المثقفين العلمانيين مثل برهان غليون وعزمي بشارة ومنصف المرزوقي وصادق جلال العظم مع حفظ الألقاب لنسج أسلوب تقاليد تعامل غير حادة مع الإسلاميين ممكن ترتقي لحد الشراكة كما بحالة الغليون والمرزوقي.. هما يلاحظان ويستنتجان..

عمر إدلبي

الدول الداعمة تخشى وصول دعمها المزعوم إلى جبهة النصرة و"الكتائب المتشددة" حسب وصفهم.. وهذه الكتائب وفق ما يراه الجميع أمورها جيدة جداً دعماً وتنظيماً وتسليحاً.. من دون دعم ومنيّة هذه الدول.. ألا يعني هذا أن الدول الداعمة بامتناعها عن دعم بقية كتائب الثوار تساهم جدياً في انفراد جبهة النصرة وغيرها من "الكتائب المتشددة" بساحة العمل المسلح ضد النظام؟

رائد وحش

إلى مخيم خان الشيح:
في علم نحو المخيم: البيوت مبنيّة للغياب، ونحن مبنيّون للمجهول. ظل العالم يحاول إقناع أمعتنا العنيدة أن البيت الحقيقي هو القبر والباقي محطات ليس إلا، ولم نكن لنقتنع بأقل من حرب.

شام وسوف

أوسخ حزب ببلدنا هو حزب (ما دخلنا يصطفلوا).. يلعن رواحكن انتو كمان

هاني عباس

تحت الرصاص.. يستوي اللذين يعلمون.. واللذين لا يعلمون..

ندى كرامي

النظام والمعارضة، الغرب والعرب، الصامتين والناشطين، الدينين والملحدين، كلهم اتفقوا على الاستقالة، اتفقوا على تتويج جبهة النصرة. الشهداء والقتلى وحدهم مازالوا مستمرين..

عمر قدور

يبرر جورج صبرا، في حوار على الجزيرة اليوم، قدوم مجاهدين من دول أخرى إلى سوريا بتعاطفهم مع مأساتنا.. من جهتي، أحترم أي شخص يأتي ليقاتل حقاً من أجل سوريا، أما من يأتي ليجاهد في سبيل الله فهذا شأن مختلف؛ سوريا وطن، وليست معبراً إلى الجنة.

أحمد صبح

على المستوى الرسمي لا يوجد ما يسمى " أصدقاء الشعب السوري" وانما هناك فقط أعداء الشعب السوري.. أما على المستوى الشعبي فالأصدقاء كثر ولكنهم يعانون من متلازمة " العين بصيرة واليد قصيرة"..!!

بسمة حداد

الطائفي العنصري، يشبه كيس القمامة المليء بالقاذورات.. مجرد أن تنكشه تفوح رائحته ويبدأ بنثرها في كل الاتجاهات، ولا يهم نوع الكيس إن كان علمانياً أو يسارياً أو قومياً أو دينياً..

نضال محفوض

عندما أرى رب عائلة يُحمِّل سيارة (سوزوكي) ببعض ما تيسر من حطام أثاث أو بقايا خبز وملابس، وبغادر منزله المدمر، أشعر أن كل ما كتب وسيكتب لا يرقى لدمعة متحجرة في عينه، أو آهة قهر حبيسة ضلوعه.

بشير كفاح

الثورة لعنة.. نارها تصيب المتسترين بظلها ولا يحملون مبادئها قبل أولئك الذين ناصبوها العداء.. ثورة قيم وكرامة..

فادي ديوب

تحدي حقيقي انك تحافظ على حسك الإنساني أمام كل هالوحشية.. يا ترى شو كان صار بأيوب لو كان عيش بسوريا هلأ؟.. رح يذكر التاريخ صبر السوريين.. في عنا ملايين إلى فاقو أيوب.. يا سوريا! يا صبر!

عهد زرزور

الأشقاء الغير سوريين لمن بتقولوا: اللّه ينصركم، اللّه يصبركم، إيمتى رح يسقط رئيسكم؟ وغيرها.. القضية ليست قضيتنا وحدنا على الإطلاق، إنها قضية كل كائن حي ولديه انتماء ولو بسيط لأي دين أو عرق أو قومية.. إنها قضية العالم الساقط أجمع وعليه مقياس مدى انتماء أي كائن حي للإنسانية.. لا ليس قضية السوريين وحدهم كل هذا الموت..

سلمى كركوتلي

هناك ثورة كرامة وحرية.. وعدل.. وهناك بلد اسمها سوريا ضائعة الرجاء مد يد العون في البحث عنها وإيجادها.. فقد تموت عطشا للحياة في أيّ لحظة..

رشا دباغ

جامعه الشهداء.. مخابز الشهداء.. مدارس الشهداء.. والآن نهر الشهداء.. حلب الشهداء ترحب بأرواحكم الطاهرة..

أمنيتي الوحيدة الآن.. أن تصبح كل مناصب الرئاسة في الشركات والمؤسسات بيد النساء وأن يكون كل رئيس العمل من النساء حتى يذوق الجنس «الآخر جدا» ما تذوقه الإناث من أرباب العمل من قهر وإذلال.. فلا ترضى بتسليمه العمل إلا إذا قام بمضاجعتها.. أو مثلا أن تأمره بأن يجلب لها أي شيء فقط لتأمل قوامه الممشوق.. ولربما ترمي بقلمها على الأرض وتأمره بجلبه لتتمعن بعضلات مؤخرته المشدودة.. المشكلة هي بأنني أعلم تماما أن هذا الكلام لن يزيد عليكم سوى بعض الخيالات المثيرة بامرأة خارقة الجمال ترتدي قميصا أبيض وتنورة سوداء قصيرة وتحمل السوط بيدها وتمارس ساديتها عليكم.. أجل من قد لا يتمنى أن تتحقق هذه الأمنية!**

دعونا إذا ندخل بالتفاصيل: ستكون ربة العمل على سبيل المثال ذات كرش كبير جدا.. ضخمة كمارد.. شنيعة الهيئة.. برائحة نفس كريهة.. وستطلب من موظفها المسكين أن يخرج معها بموعد وربما يعد لها القهوة كل يوم.. أو ربما سيترتب عليه أن يقبّلها ويمسد عضلاتها المتصلبة بين الحين والآخر فقط لأنها تملك السلطة.. ومن يمنعها!.. وقد ترمي بهذا الموظف خارج المكتب في حال لم يلبي رغباتها أو في حال توفر موظف آخر أكثر وسامة وطواعية منه متذرعة بمرؤوسيها الوهميين.. أو بالعفريت الصغير الذي زار فراشها في الليلة السابقة وأمرها بالتخلص من موظفها أو يقوم بشق حلقها.. والكثير الكثير من الألم قد يأتي بعد.. قد تكون نسبة الموظفات في العالم أكبر من نسبة الموظفين.. لكن المناصب وبالتأكيد في الغالب بيد قلةٍ من الذكور المستبدين.. إذ أنني لم أسمع قط بموظفٍ طرد لأنه لم يرضي مديرته.. لكنني سمعت كثيرا عن إناثٍ طردن لأنهن لم يفعلن

رباب البوطي

نقل الحرب ضد النظام لتصبح في مواجهة الأكراد في رأس العين، أيا كانت المبررات، وبـ 48 كتيبة إسلامية مقاتلة!!.. إنشاء الجيش (الوطني)، أو كتائب الدفاع (الوطني)، الموالية للأسد في الساحل!!.. التجييش القسري، أو الطوعي، لجموع السوريين من مناطق إلى مناطق!! ومحاولة الإرهاب المعد له بالمجازر الطائفية المتلاحقة!!.. الصمت الدولي الجليّ والواضح، حد الوقاحة، على ما يحدث في سوريا؛ فيما يتكالبون على الحرب في مالي!!

كل ذلك وغيره من تفاصيل أخرى لا تجعلني إلا أزداد اقتناعا بأن تقسيم سوريا مصلحة للكثير من القوى الدولية والعربية بالإضافة إلى النظام السوري، وهذه التواطؤات والألاعيب القذرة، ودفع الثورة بأتجاه التطرف الإسلامي بالمال الذي يهشّم وحدة المقاتلين، وانقسام المعارضة المثير للريبة، والأجندات الإعلامية وهلمجرا.. ما هو إلا تفصيلات في سيناريوهات يبدو أنها أعدت منذ وقت..

ثورة من أجل الديمقراطية والحرية ليست لا من مصلحة النظام ولا أعوانه ولا من مصلحة بعض القوى الإقليمية والدولية على ما يبدو. فبلد قوي موحد حر وديمقراطي ليس لا من مصلحة تركيا ولا إسرائيل ولا إيران ولا روسيا ولا أميركا ولا الدول العربية المحيطة ولا كل من هو راغب بالعبث والسيطرة والغنيمة..

وحدهم السوريون من يستطيعون إنقاذ سوريا.. وحدهم. بترفعهم عن الصغائر، وبوحدتهم، وبنبذهم للغل الطائفي، الذي يحاولون تأجيجه كل يوم فينا، وبإصرارهم على أهداف ثورتهم لا حرفها ولا ليها على مقاسات الأشخاص والمجموعات والدول!!.. وإلا سيأتي يوم يُسائلنا أبناؤنا.. لماذا؟

روزا ياسين حسن

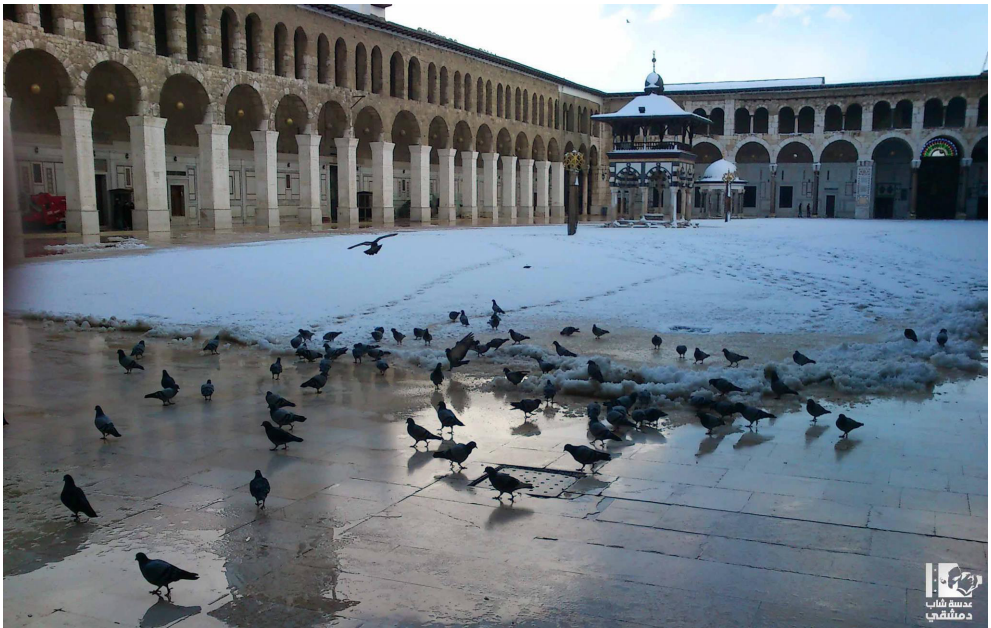

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..

قصة قصير جداً جزيلاً

وزير الخارجية الياباني «مامورو شيجميتسو» الذي كان مرتدياً قبعة ويعرج بعد فقدانه لساقة في هجوم في الصين، وقّع نيابة عن الامبراطور الذي كان قد التقى به في اليوم السابق وكان قد أخبره:

«علينا أن نجعل من يوم الحداد هذا أول يوم من مولد اليابان الجديدة بتلك الطريقة يمكننا الذهاب إلى المراسم ورؤوسنا مرفوعه»..

ليش؟؟

ليش القوى الاقليمية والدولية بدا الوضع السوري يستمر لا غالب ولا مغلوب؟

أمريكا والخليج بدهون سوريا ساحة تصفية حساب مع الصين وروسيا وإيران.

تركيا بدها سوريا ساحة تصفية حساب مع حزب العمال الكردستاني.

اسرائيل بدا سوريا تتمزق بالحروب الداخلية مشان تضعف وبدا سوريا بالمستقبل تتقسم لدول دينية مشان تبرر وجودا كدولة يهودية صافية.

اللبنانية بدهون سوريا ساحة تصفية حسابات بين بعضون.

الأردن بدو سوريا ساحة لإبعاد أنظار شعبو عن همومون الداخلية.

العراق بدو سوريا ساحة تلتهي فيها الجماعات المتطرفة عنو.. لو القوى الاقليمية بدا النظام ينتصر فيها تقطع الدعم عن المعارضة المسلحة.. ولو بدا الثورة تنتصر فيها تسلح المعارضة المسلحة بالسلاح النوعي المتطور.

بس كلون بدهون الوضع الحالي يستمر

يعني بالمحصلة إذا كبّرنا راسنا نحنا السوريين فالوضع هاد الكل مبسوط والكل رح يربح على حسابنا ونحنا الوحيدين يلي رح نكون خسرانين.

مشان هيك انا مع كل مبادرة تنهي الصراع بحل سياسي عادل وشامل عن طريق الحوار والتفاوض لينقذ ما تبقى من سوريا ومن مستقبل سوريا..

كعكة

بحب من هون من موقعي التنظيري إنو قول لإخواننا المعارضين اللي رافضين حوار حقن الدماء اللي عم يطرحو الشيخ معاذ الخطيب إنو حبيباتي هي بلد مو كعكة... بلد مو كعكة... بلد مو كعكة.

حيث أنّ نسبة العلاك والمخاوف والخلافات تتناسب طرداً مع طول المسافة الفاصلة بين البني آدم والثورة.

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري | بقلم آدمن ما إلو اسم

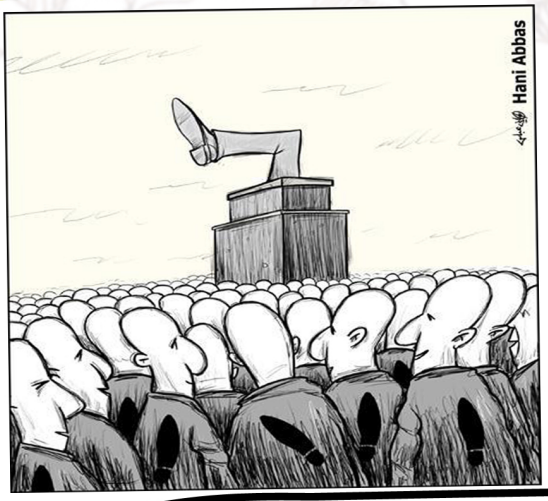

المحشش السوري الالكتروني

- 1 -

عفكرة إسرائيل عرفت تماماً ايمت تضرب ضربتها يلي هدفها إعلامي أكثر مما هو حقيقي.. اختارو وقت ما حدا فاضي يحك راسو أو يفكر بالبلد ومصايبها..

يعني إضافة للصراع السوري سوري داخل البلد، اختاروه وقت مباراة ريال مدريد وبرشلونة..

من كل عقلكون متوقعين حدا يدافع ضد الهجوم؟؟.. يلي ما عندو كهربا عم يحارب بعضو ويلي عندو عم يحضر اللعبة..

- 2 -

هلق دعوة غير مباشرة للحوار مع النظام بهدف الانتقال السلمي صارت خيانة للثورة، وجبهة النصرة تعلن رسمياً تبنيها لعملية بنص السلمية تحط 5 طن متفجرات بسيارة بنص العجقة بالسلمية مشان تستهدف كم شبيح أم راحو قتلو (بالغلط عأساس) اكتر من 30 مدني ببيوتن ما دخلون بس استشهدو من قوة الانفجار منهن 12 طفل صورهن موجودين على صفحة تنسيقية السلمية استشهدو بالانفجار تبع النصرة هاد معليش وممنوع انتقاده واذا انتقدناه منكون ضد الدين وهاد مو خيانة للثورة ولا لدماء الشهداء وأهداف الثورة؟؟

إصلاح أخطاء الثورة هو الباب الوحيد لانتصارها، أما النظام فموضوع تاني لأنه متل الحمام العربي ما بيتصلح غير لينشال كلو من مكانو..

لا تشلشنا مشلوشين

- 1 -

إنو أنت يا سمير يا حبيبي مو صدّلك شغل مرتب بالمملشة، و ما فيزولك لأنك سوري؟

مو قدمت مليون طلب سفر لأوروبا و أمريكا و رفضولك ياهن لأنك سوري؟ مو السوري تبهدل بكل مكان بالعالم بس لأنو سوري؟

سوووري منك سمير، بس ليش كل ما بنعقد مؤتمر أصدقاء الشعب السوري بتتأمل و بتابع و بتصفن و بتنطر عالفاضي؟ فظيع أنت يا سمير شو بالك طويل و شو بحسك بلا إحساس، خيو هدول مو أصدقائك و لا أصدقاء للشعب السوري.. هدول عاملين مؤتمر الأصدقاء أعداء الشعب السوري..

سمير هلق أكثر صداقة السوري بحاجتها هي صداقة السوري.. طب شو رأيك نعمل مؤتمر نسميه: مؤتمر السوريين أصدقاء الشعب السوري؟ هاد المؤتمر في منو كل يوم، بس بصير بالكازيات مو بالأوتيلات.. في بيدونات مو مكرفونات.. في ناس متلي متلك بدها تعيش، مو وزراء خارجية و مجالس و ائتلافات. سمير.. سمير شو شردت!..

- سمير: آه؟ مين سمير؟

- 2 -

منحبك!

وين ما درت وشك، منحبك.. بمؤسسات الدولة، بالوزارات، عالكشوكة، عبلور سيارات مفيمة، على كنزات لابسينها شباب معترين.. منحبك..

نحنا التجار و المستفيدين و المسؤولين، و قرايبنهن، و رفقات قرايبنهن، و قرايبين رفقات قرايبين قرايبنهن.. منحبك!

منحبك! يا مين؟.. منحبك يا ممشيها، منحبك يا مزبطها.. منحبك يا مكشكشنا، يا ضامنلنا تجارتنا، و مصارينا، و شركاتنا، و محلاتنا، و كراسينا.. طب تفضل شوف شو في محبة بالبلد، ليك شو في استعداد للحب.. طب يا أخي، ما زال في كل هالحب الدفين، معقول قدرانين نكره بعض هالقد؟

مو أحلى لو كل هالمخزون من الحب نستغلو بشي أفيد.. المفروض نبلش نكشكش بعض، و نساعد بعض، و ندير بالنا عبعض، بما إنو بوقت الشدائد الناس بتضب على بعض..

منقوم منصير منحبكجية لبعض، و كل واحد بصير يقول للمقابيلو: منحبك..

أي و بعدين فقت من المنام، و استغفرت ربي، و نزلت عالكازية مشان لحق الدور..

في (نزوح اللّه) والشعب الوحيد

■ نبراس شحيد

عمل للفنان: وسيم غريوي

وحيدٌ وحيدٌ وحيد..

لافتةٌ ما، رفعها متظاهرٌ ما، في مكانٍ ما، ليقول كل شيء دفعةً واحدة: "وحيدٌ وحيدٌ وحيد، الشعب السوري وحيد"! جمالية هذه الصرخة الجارحة لا تكمن فقط في فهمها العميق لغربة شعبنا، بل أيضاً في براعة لعبها اللغوي على معنيي كلمة "الوحدة": الاتحاد واليُتم. تعبّر اللافتة هذه عن يتم الثورة السورية، وفي الوقت ذاته، نراها توقظ فينا الشعارَ الأصليّ الذي منه اشتُقّت ("واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد")، فتحمي في ذاكرتها، على الرغم مما تعبّر عنه من تمزق، رغبة شعب وحيد يريد أن يكون واحداً في معركته الوجودية ضد العدم: عدمية النظام المستعدة لإفناء البلد من أجل البقاء ("الأسد أو لا أحد" كما تقول بصدق "غريزة النظام أو لا شعوره السياسي" المتمثلان في ظاهرة الشبيحة)؛ وعدمية التشكيلات المتطرفة التي تتبنى منطق النظام ذاته، "نحن أو العدم" (ياسين الحاج صالح). من المسافة إذاً بين "وحدة" الاتحاد و"وحدة" اليتم في مقارعة العدمية، تعبّر اللافتة هذه عن الإرهاق الوجودي المتسلّل من الشرخ الفاضح بين الحلم والواقع العبثي، وفيه سوريون يبيدون سوريين، والعالم يطيل التصفيق ليمتد أمد الموت.

في الغياب أو ما يشبهه

بين العدمية والعبثية، قد يتعمّق شعور الوحدة هذا عند الإنسان السوري ليأخذ أحياناً شكلاً وجودياً أكثر كثافةً حين تنقطع انسيابية العالم القديم الذي عليه اعتدنا، بمسلّماته ومعتقداته، فيظهر غريباً جامحاً لا يمكن حصره في مصطلحات ونظريات ورؤى، عارياً وقد مزّق ما ألبسناه من حلل وأفكار. أمام جثة محمد الملسي المعلّقة على السلك، وأمام جوع بناته اللواتي فارقهن منتحراً لأنه لم يجد لهن طعاماً، قد تتزلزل مجموعة من ثوابت فهمنا لوجودنا وأشكال حياتنا الموروثة. أمام الجثة المعلّقة، قد تهتزّ نظرياتنا الماورائية كلها، ليصير حضور اللّه سؤالاً يطرح ذاته على بعضنا: "أين هو الإله مما يجري اليوم في سوريا؟"، يتساءل أحد الأصدقاء، لتجيب صديقةٌ أخرى بيأس: "لو كان اللّه موجوداً، لما مات أطفالنا!". تأخذ الوحدة هنا شكلاً جذرياً، فالإنسان المتألم قد يجد ذاته وحيداً، حتى من اللّه الذي به آمن سابقاً، حين يقارب ألمه انطلاقاً من التناقض، أو ما يشبه التناقض، بين عدمية الواقع العبثي من جهةٍ أولى والمفهوم السائد عن إلهٍ يعتني بخليقته من جهةٍ ثانية: "إذا أراد اللّه أن يمنع الشر، لكنه لا يقدر، فهو ليس بقدير، وهذا لا يتناسب وطبيعته. وإذا كان يقدر لكنه لا يريد، حينئذ يكون شريراً، وهذا أمرٌ غريبٌ عن طبيعته.. أما إذا أراد اللّه إلغاء الشر وكان يقدر على ذلك، وهذا ما يناسب طبيعته، فمن أين يأتي الشر؟" (أبيقور، بتصرّف).

أياً تكن الأجوبة الفلسفية واللاهوتية على المعضلة هذه، وأياً تكن تصوراتنا عن احترام اللّه لحرية الإنسان إلى حدٍّ يصير فيه هذا الأخير قادراً على الشر بأنواعه كافةً، ستبقى الأجوبة كلها، على الرغم من متانة بعضها، هزيلةً أمام صرخة طفل متألم أو دموع أمٍّ ثكلى أو نحيب أب على أطفاله الذين قضوا في مجزرةٍ حلفايا. أمام عمق المأساة، تبدو الأجوبة سخيفة على أنواعها، لأن الإجابة النظرية عن الألم، مهما قويت حبكتها، لا يمكن أن تلحم شفاه جراحنا! لذا سيبقى "غياب الإله"، أو ما يشبهه، هوةً لا يمكن ردمها، ولا يمكن الاستخفاف بها واللجوء إلى الأجوبة الجاهزة لتفاديها. الهوة سحيقة، ولا إجابة نظرية تشفي ألم الصرخة الوجودية وما تتجرعه من سكرات الغياب، بل ربما "شبه إجابة" حياتية تقاوم الغياب بحضور جديد: الحضور لضحايا العدمية، لهؤلاء الذين مات أهلهم وشُرّدت عائلاتهم وسخر الزمان من وجودهم! لا إجابة تشفي الجرح بل التزام به حتى النهاية..

في "نزوح اللّه"

مع تنامي السؤال الإشكالي عن علاقة الإله مع العالم وما يترتب عليه من نتائج نقدية على المعتقدات الدينية السائدة، نشهد في المقابل تنامياً عميقاً للشعور الديني عند غالبية السوريين. أمام الوحدة السحيقة التي نعيشها اليوم، أمام العبثية والعدمية، وأمام انهيار التوازنات القديمة، ينقلب الدين، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، ملجأً يقصده الكثير من المتعبين أو الباحثين عن المعنى أو الراجين خلاصاً يتجاوز قتامة حاضرنا ولا عدالته. لذا، لا يمكننا فصل تعاظم الظاهرة الدينية اليوم، أو تعاظم الشك فيها، عن ظاهرة القلق أمام كثافة حضور الموت حولنا، على نحو تصير فيه الصرخة التي يطلقها بعضُ الشباب عن حضور اللّه تساؤلاً عميقاً قد يدفع بعضنا، خارجاً عن آليات الدفاع عن النفس، إلى مزيدٍ من البحث الوجودي الصادق: هل "الإله" الذي نؤمن به هو الوجه الآخر لحاجاتنا أم هو الآخر؟ بكلماتٍ ثانية: هل نعيش التجربة الدينية كتعويض ينكر الوحدة التي تخترق وجودنا، أم يُعاش "الإلهي" من ألم الشوق الذي يقبل الوجود بما يحمله من غياب، ليجد ربما نوراً "إلهياً" جديداً في أعماق الهاوية؟ بمعنى آخر، هل تتحدّد علاقتنا مع "الإلهي" كخبرة انفتاح على المجهول الذي قد يسكن صمت السماء، أم كتقوقع على الذات تنقلب معه التجربة الدينية تجربةً مرآتية لا يجد فيها الآخر مكاناً، فيصير "الإلهي" مجرد امتداد لذواتنا؟

يتنامى خطر الانغلاق الديني في لحظات الوحدة مع تعاظم فشل المؤسسات الدينية، غالبيتها، في مواكبة حلم الثورة، أولاً بسبب ارتباطاتها التاريخية لا بل حتى البنيوية بأنظمةٍ ديكتاتورية سلطوية؛ ثانياً بسبب اختزالها الثورة، في غالبية الأحيان، إلى حالٍ طائفية، أقلّوية أو أكثرية؛ ثالثاً، لأنها ظلت غير قادرة بشكل عام، حتى لو نجحت في فكّ ارتباطاتها القديمة مع النظام، على الخروج من أطرها التقليدية الموروثة لتتجاوب مع ديناميكية اللحظة السورية وما تصوغه من إشكاليات عن الوجود والعدم. لذا يكرّر شيخٌ جليلٌ معتدلٌ على مسامعنا: "ينبغي أن نعلم أن ما يصيب العالم الإسلامي اليوم إنما هو من معصيته للّه، ولو أنه أطاع اللّه لكان هو قائد الدنيا"، ومثله يقول كاهن نبيل ليختزل مأساتنا السورية في مفهوم "الخطيئة". يعبّر هذا النوع من الحجج الجاهزة عن المسافة التي تفصل الخطاب الديني السائد عن عمق الصرخة الوجودية الثائرة فينا، وما تحمله من ألم الغياب، ليبقى هذا الخطاب هزيلاً أمام أجساد الأبرياء المكوّمة، وأمام جثة محمد معلّقةً في مخيم عين الحلوة وفي ضمائرنا حتى النفس الأخير. "أين هو اللّه؟" تتكرر الصرخة اليوم، ولا إجابة تشفي، لأن إلهاً لا يقدر على الغياب لا يمكن إلا أن يكون وهماً يناقض واقعنا المحكوم بالوحدة، أو صنماً ميتاً يختزل "الإلهي" في صورتنا عنه، ومعه يُختَزَل توقنا اللامتناهي إلى الحرية. لذا، يتابع "الإلهي" انفلاته من سجن المفاهيم والمنظومات المغلقة التي اعتدنا مقاربته من خلالها، فيكمل نزوحه من معابدنا، من تعاليم الكثير من كهّاننا وشيوخنا، من جبب المتطرفين منا، ليسكن ربما خيمةً ما، في مخيم ما، حيث يرتجف أطفالٌ صغارٌ من البرد القارس.

نشر أيضاً النهار اللبنانية 23 / 1 / 2013

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (43387)

دمشق: 2877
ريف دمشق: 9350
حمص: 7853
درعا: 3890
إدلب: 5690
حلب: 5654
دير الزور: 3081
الرقة: 304
السويداء: 34
حماة: 3476
اللاذقية: 690
طرطوس: 62
الحسكة: 234
القنيطرة: 119

3192 عدد الأطفال الذكور
1418 عدد الأطفال الإناث
2947 عدد الإناث
8138 عدد العسكريين
35249 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 1 / 2 / 2013
http://vdc-sy.org